المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

المرأة في الجملة العربية دراسة في ديوان عمر بن أبي ربيعة أنموذجاً

Women in the Arabic sentence:
A Study in the Diwan
of Omar bin Abi Rabia, as a Model

بقلم الدكتورة

نجلاء بنت محمد نور بن عبد الغفور عطار

الأستاذ المشارك في قسم اللغة والنحو والصرف
كلية اللغة العربية ـ بجامعة أم القرى ـ بمكة المكرمة
المملكة العربية السعودية

الجزء الثالث (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة في الجملة العربية
دراسة في ديوان عمر بن أبي ربيعة أنموذجاً

نجلاء بنت محمد نور بن عبد الغفور عطار

قسم اللغة والنحو والصرف ـ كلية اللغة العربية ـ بجامعة أم القرى ـ بمكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : nmattar@uqu.edu.sa

الملخص

(حقوق المرأة)، و (تمكين المرأة) مصطلحان كثر دورانهما هذه الأيام، فَكُثَرتْ الأصواتُ التي نادَتْ وتنادي بإعطاء المرأة حقوقها في كل ميدانٍ ومجال ومنها: حقوقها اللغوية.

ومع علوتلك الأصوات لم أقف على دراسة عُنيت بدرس حقوق المرأة في الجملة العربية، ولذا كانت هذه الدراسة

التي جمعَتْ بين الدرس التطبيقي لمدى إعطاء المرأة حقوقها في الجملة في ديوان عمر بن أبي ربيعة، والدرس النظري لذلك بالتأصيل له من خلال البحث في كتب النحو واللغة، وأهم أهدافها: الكشف عن تلك الحقوق، وعن موقف الشاعر منها في ديوانه، وموقف العربية مُتمثّلاً فيما رصدَتْه كتبُ النحو واللغة من تلك الحقوق، وعَرْض كل ذلك على طاولة البحث، والمناقشة، والتحليل، والاستنباط. والمنهج المُتبع في الدراسة هو: المنهج الوصفي.

ومن أهم نتائج البحث:

حِرْصُ العربيةِ والشاعر على إعطاء المرأة حقوقها غالبًا، وما وقع من مساواتها بالرجل بترك تأنيث ما يتعلق بها في بعض الأحوال، ليسَتْ عِلته الانحياز للرجل، وبَسْط هيمنته على المرأة – كما زعم بعضُهم – وإنما تكمن وراءه عللٌ لفظيةٌ، أو معنويةٌ، أو أسرارٌ بلاغية، أو غيرُ ذلك تقتضي من الناظر لإجلائها فَضْل تأملٍ ونَظَر.

ومن أهم توصياته:

أن يتبع هذه الدراسة، دراسة حقوق المرأة في الجملة في اللغات الأخرى؛ للوقوف على مدى إعطاء المرأة حقوقها في تلك اللغات، والمؤثرات في ذلك سواء كانَتْ لغوية، أم اجتماعية، أو غير ذلك، والمقارنة بينها وبين العربية.

الكلمات المفتاحية: حقوق المرأة النحوية؛ وصف المرأة في الجملة؛ فعل المرأة؛ الإشارة إلى المرأة؛ وضميرها .

Women in the Arabic sentence: A Study in the Diwan of Omar bin Abi Rabia, as a Model

Najlaa Mohammed Nour Attar

College of Arabic Language and Literature - Umm Al-Qura University- Kingdom of Saudi Arabia.

Email: nmattar@uqu.edu.sa

Abstract

"Women's rights" and "women's empowerment" are two terms that frequently circulate nowadays; numerous advocates called for giving women their rights in every area and field, including their linguistic rights.

Regardless how influential those calls were, I have not come across a study exploring women's rights in the Arabic sentence, informing about them, describing them, attributing action to them, referring to them, implicitly referring to them, and so on. Therefore, this study comes to combine the applied study of the extent women were given their rights in the Arabic sentence in the Diwan of Omar Ibn Abi Rabia, and the theoretical study of that by tracing its roots in grammar and language books.

This study primarily aimed at revealing women's rights in the Arabic sentence, the poet's (Omar Ibn Abi Rabia) attitude on the same in his Diwan, the attitude of Arabic of those rights presented in the grammar and language books, and presenting all of that to research, discussion, analysis and deduction. This study followed the descriptive methodology.

The study concluded with that the Arabic Language and the Poet (Omar Ibn Abi Rabia) have been keen on giving women their rights in the sentence. The instances of equating women with men by leaving out the feminine inflection in some cases is not an indication to bias or dominance of men over women, as some claimed. It is in fact due to verbal or moral issues, rhetorical secrets, or other things that require the examiner or researcher to utilize the best of contemplation and consideration.

The researcher recommends this study be followed with a study of women's rights in general in other languages to find out the extent those languages pay attention to women's rights, the influences in that, whether linguistic, social, or otherwise, and after that compare them with Arabic.

Keywords : grammatical women's rights; describe the woman in a sentence; woman act; reference to women; And her conscience.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمدًا لله على كل نِعْمة، وشكرًا له على كل مِنَة، وصلاةً وسلامًا على الحبيبِ محمدٍ نبيّ خير أمّة. أما بعد:

ف(المرأة وحقوقها) موضوعٌ ملأ الدنيا وشغل الناس في هذا العصر، وزاحمه اليوم مصطلحُ(تمكين المرأة)، كلاهما محوره المرأة، وقضيته: ماهية هذه الحقوق، ومجالاتها، وكيفية تمكين المرأة من نيلها.

فلا يكاد الناظر يجد مجالاً خاض غِماره الرجل إلا ونُودي أن يكون للمرأة فيه نصيبٌ، فارتفعت الأصوات تنادي بأن يكون لها في السياسة مكان، وفي الاقتصاد والعسكرية حظ، وفي الرياضة والإعلام بابٌ مُشرع، وامتدّ الأمر إلى اللغة فتعالت بعض الأصوات تطالب بحقوق المرأة اللغوية، وتتهم العربية بذكورية التوجه، والعنصرية ضد المرأة، والانحياز للرجل فذَكَرٌ واحدٌ -كما يقول أحدهم - يمكن أن يُلغي مجتمعاً كاملاً من النساء في تذكير الأفعال فيشار إلى هذا الجمع بصيغة المذكر [١] هذا فضلاً عن هيمنة الخطاب الذكوري في النداءات، والتعبيرات، والأوراق الرسمية فيقال مثلاً: عزيزي المستمع، وعزيزي المواطن مع أن الخطاب لكليهما [٢].

هذا بعض ما تردد في كتابات أولئك وهي تفتقر إلى الطرح العلمي الجاد، وكان المنتظر منهم عَرْض الموضوع على طاولة البحث والمناقشة العلمية لا في

---

(١) حسام الحداد ينتقد ذكورية اللغة العربية، والانحياز الذي تمارسه ضد المرأة – موقع فرانس ٢٤/ رويترز – ٢٠١٥/٣/١٣م، ولم يتيسر لي الاطلاع على كتاب المؤلف المنقول عنه، المعنون بـ (أحاديث تؤسس لدونية المرأة).

(٢) ينظر ذكورية اللغة العربية أخطر أنواع الختان للنساء لمنى حلمي – جريدة المصري اليوم – ٢٦ديسمبر ٢٠٢٠م

مقالات وكتابات تخضع للهوى، ولا تتسم بالموضوعية والحياد، وسببها -كما ذكر الدكتور جبريل العبيدي -الجهل بفقه اللغة العربية، وقواعدها وتراكيبها [1].

ومع بحثي لم أقف على دراسة أفردت موضوع (حقوق المرأة في الجملة العربية) بالبحث والدراسة: دراسة حقوقها في الإخبار عنها، وإسناد الفعل إليها مثلاً، وفي الإشارة إليها، والإضمار، وغير ذلك، ومدى إنصاف العربية لها في ذلك وعدمه.

والحقيقة أن الناظر في كتب تراثنا النحوي يجد (المرأة) في تضاعيفها تندرج تحت مصطلح (المؤنث الحقيقي) الذي يشملها ويشمل المؤنث غير العاقل، ولا يُفرّق بينها وبينه في الأحكام مع اقتضاء اختلافهما في العقل اختلافهما في الأحكام، وكذا مقتضى اختلافها عن (الرجل) في الجنس أن يكون لها حقوقها النحوية التي تَحفظ لها في الجملة تفردها وانفرادها، وتُحافِظ على هويتها، وذلك لا يكون إلا بالتفريق بينها وبينه في الجملة بعلاماتٍ وصيغٍ تميزها عنه.

ليس موضوع بحثي إذن: (أحكام المؤنث) أو حقوقه – كما قد يُتوهم لأول وهلة –، فهذا تناولَتْه أبحاثٌ كثيرة، وإنما موضوعه: حقوق المرأة في الجملة العربية، وموقف العربية من هذه الحقوق، وموقف شاعرنا عمر بن أبي ربيعة منها، والمقارنة بينهما.

والمؤمل من البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما حقوق المرأة في الجملة؟ وهل حقوقها المساواة بينها وبين الرجل في التركيب، أو التفريق بينهما؟ وهل نالت المرأة حقوقها في الجملة العربية؟

كيف عوملت المرأة في الجملة نحوياً؟ وماذا قال النحاة في ذلك؟ وكيف عامل شاعرنا عمر بن أبي ربيعة المرأة في جملته الشعرية؟ وهل كان للمجتمع بمعتقداته وأعرافه، أثرٌ في نَسْج تراكيبه؟

---

(١) ينظر جندرة اللغة العربية للدكتور جبريل العبيدي – جريدة الشرق الأوسط – العدد ١٤٥٥٤– ١٤٤٠/١/٢٣هـ

كل هذه الأسئلة سوف ندع للبحث محاولة الإجابة عنها، من خلال دراسة نظرية وتطبيقية، دراسة تجمع بين الدرس التطبيقي في ديوان عمر بن أبي ربيعة[١]، والدرس النحوي التأصيلي له من كتب النحو واللغة.

أما أهداف الدراسة فيمكن حصرها فيما يلي:

١-الكشف عن حقوق المرأة النحوية في الجملة العربية فيما يتعلق بها من إسناد الفعل مثلاً، والإخبار، والإضمار، وغير ذلك، وبيان مدى إنصاف العربية لها في ذلك وعدمه.

٢-المقارنة بين موقف العربية من المرأة وحقوقها في الجملة، وموقف الشاعر منها في ديوانه من خلال استقراء الشواهد في ديوانه، وحصر المواضع التي نالَتْ المرأة فيها حقوقها ولم تنلْ، وإحصاء ما أمكن، فالديوان كبيرٌ في حجمه، غنيٌ بمادة الدرس، هذا مع عرض كل ذلك على طاولة البحث والمناقشة والتحليل، والاستنتاج.

٣-محاولة استجلاء أثر الحياة الاجتماعية في العصر الأموي -عصر الشاعر- في صياغة جملته ودلالاتها.

والمنهج الذي سيتبع في الدراسة هو: المنهج الوصفي، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في سبعة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد، وتتلوها خاتمة.

ويتضمن (التمهيد) ما يلي:

١-التعريف بالشاعر.

٢- مصطلح المرأة، والأنثى، والمؤنث في العربية.

٣- مكانة المرأة في المجتمع في العصر الأموي، وأثر ذلك في صورتها في شعر عمر بن أبي ربيعة.

٤-حقوق المرأة في الجملة: المساواة بينها وبين الرجل أو التفريق بينهما؟

---

(١) النسخة المعتمدة للديوان هي: شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد.

و المباحث هي:

المبحث الأول: ضمائرها.

المبحث الثاني: الإشارة إليها.

المبحث الثالث: موصولاتها.

المبحث الرابع: الإخبار عنها، والحال، ونعتها، ووقوعها عطف بيان.

المبحث الخامس: إسناد الفعل إليها.

المبحث السادس: نداؤها.

المبحث السابع: عددها.

وأخيرًا: الخاتمة. وتضم أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل السداد والتوفيق ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿هود:٨٨﴾.

التمهيد

١- التعريف بالشاعر:

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، كنيته المشهورة أبو الخطّاب، ولد في مكة عام ٢٣هـ في أسرة ثرية لأب قرشّي، وأم يمنيّه، توفي أبوه وهو لم يتجاوز الثانية عشرة، فتولّت أمه تربيته فنشأ نشأة مُترفة كلُها لينٌ ودلال، وعاش في بيئة كثر فيها الجواري، وشاع فيها الموسيقى والغناء فأمضى حياته يتبع الشريفات الحِسان، ينظم فيهن أشعار غزله، فيتغنى بها المغنون، ويطير بها الركبان، وكانت وفاته في سنة ثلاث وتسعين للهجرة.[١]

٢- مصطلح المرأة، والأنثى، والمؤنث في العربية:

لا نجد مصطلح (المرأة) يتردد في قضايا التأنيث في النحو العربي، وما يتردد للتعبير عنها هو مصطلح (المؤنث الحقيقي) الذي يندرج تحته المؤنث الحقيقي العاقل وهو (المرأة) التي تعنينا، وغير العاقل كالناقة والنعجة والدجاجة.

وليس في ذلك انتقاص للمرأة، أو امتهان لها، فهو - فيما يبدو - مما اقتضاه التقعيد والتصنيف الذي يقتضي ضمّ الأشباه التي تخضع لقواعد مشتركة تحت مسمى واحد.

وحريٌ بنا قبل استهلال البحث في موضوعنا أن نلقي ضوءًا على الفروق الدلالية بين مصطلح (المرأة) في العربية، وما قد يُظن بأنهُ مرادفٌ له من المصطلحات، وهو مصطلح (الأنثى)، و (المؤنث).

فأما (المرأة) في اللغة فهي مؤنث (الَمْرء)، وهو الإنسان[٢]، وللعرب فيها أربع لغات:

---

(١) ينظر ترجمته في خزانة الأدب ٣٤٠/١، ومن تاريخ الأدب العربي للدكتور طه حسين مج ٥٩٢/١ - وتاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) للدكتور شوقي ضيف ٣٤٩ - ٣٥٤، والجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) للدكتور حنا الفاخوري ٤٤٥ - ٤٤٦، والأعلام للزركلي مج ٥٢/٥

(٢) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (مرأ) مج ٤١٦٦/٦

أولها: امْرَأَة. بإلحاق أولها همزة الوصل نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ ﴿النساء:١٢٨﴾، وثانيها: مَرْأَةٌ بترك إلحاق الهمزة في أولها، وثالثها: مَرَةٌ بتخفيف الهمزة في (مَرْأَةَ)، وإلقاء حركتها على الحرف الساكن قبلها، وحذفها[١]. والرابعة: مَرأة كـ (كَمَاة) وهو قليل [٢].

يقول سيبويه – رحمه الله – في حديثه عن تخفيف الهمزة المتحركة التي قبلها ساكن كالمرأة –: "مثلُ ذلك قولك: ألحْمَرُ – يقصد في (الأَحْمَر) بعد التخفيف – ومثله قولك في الَمَرْأة: المَرَةُ، والكَمْأة: الكَمَةُ، وقد قالوا: الكَمَاةُ والَمَرَاةُ، ومثله قليل"[٨].

ولم يلحقوا (أل) إلا بما لم يكن في أوله همزة الوصل من لغاتها، وحكى الفراء دخولها على (امْرَأة) حيث قالوا: الامْرَأَةَ،[٣] وهو غير فصيح "لأن قول الأكثر على خلافه [٤]".

وأما (الأنثى) فهي – كما يقول الجوهري – خلاف الذَكَر[٥]، وزاده ابن منظور تحديدًا فقال: "خلاف الذَكَر من كل شيء[٦]" ودون تحديد له بنوع، وظاهرُ قوله وقوعه على الأنثى من كل ذَكَر إنسانًا كان أم حيوانًا أو طيرًا، فهو عام يطلق على مؤنث كل ذكر سواء كان عاقلاً أم غير عاقل، بخلاف (المرأة) التي تختص بالمؤنث العاقل، ولا تشمل غير العاقل.

---

(١) ينظر الكتاب ٣/٥٤٥، والتكملة ١١٩–١٢٠، واللسان ٦/٤١٦٦

(٢) ينظر الكتاب ٣/٥٤٥، والتكملة ١٢٩، واللسان مادة (مرأ) ٦/٤١٦٦

(٣) ينظر التكملة ١٢٠

(٤) التكملة ١٢٠

(٥) الصحاح مادة (أنث) ١/٢٧٢

(٦) اللسان مادة (أنث) ١/١٤٥

أما (المؤنث) فهو اسم مفعول من " أَنَّث يُؤنِّث تأنيثًا [١]، وعرّفه محمد سمير اللبدي بأنه غير المذكر، وهو – كما قال – ما حَسُن أن يشار إلى مسماه بـــ (ذي) أو (تلك) [٢] ".

وهو قسمان عند النحاة: حقيقي، ومجازي، والأول: ما كان بإزائـــه ذَكَـــر، والثاني: ما لم يكن كذلك، ويمكن تقسيم (الحقيقي) إلى قسمين: عاقل، وغير عاقل، والعاقل هو: (المرأة) التي هي محطّ اهتمامنا.

ومما تقدم نلحظ أن مصطلح (المرأة) أخصّ من (الأنثى)، فـــ (المرأة): أنثى الذَكَر من الرجال خاصة، و (الأنثى): أنثى كل ذكر من الأحياء سواء كان إنساناً أو غير إنسان، أمّا (المؤنث): فهو أعمّ منهما، فهو يشمل المؤنث من الأحياء عاقلاً أو غير عاقل، وهو (المؤنث الحقيقي)، والمؤنث من غير الأحيـــاء وهـــو (المؤنـــث المجازي).

٣-حقوق المرأة في الجملة:

ما حقوق المرأة في الجملة؟ هل حقها المساواة بينها وبين الرجل في الأحكام أم عدم المساواة؟ وهل العدل المساواة بينهما أو عدم المساواة؟

المرأة في الجملة – فيما أرى – كالمرأة في الحياة، تتساوى مع الرجل فـــي بعض الحقوق، ولا تتساوى في أُخر؟ فإنسانية كل منهما تقتضي المساواة بينهما في بعضها، واختلاف جنسهما يستلزم عدم المساواة في أُخر.

فالمرأة كالرجل في الجملة العربية لها من الحقوق ماله فيما يتعلق بالجملة من أحكام وقواعد تَحْكُم نَسْج الجملة، وتُوثق عُرى أجزائها مما لا مساس لـــه بحقيقـــة جنسها، كحكم التقديم والتأخير والحذف والذكر، والإظهار والإضمار، والإعـــراب، فأنت تقول مثلاً – وقد وقعت المرأة فاعلاً –: أطاعَتْ المسلمةُ اللهَ، وأطاعَـــتْ اللهَ المسلمةُ، كما تقول إذا كان الرجل فاعلاً: أطاعَ المســـلمُ اللهَ، وأطـــاعَ اللهَ المســـلمُ،

(١) ينظر المعجم المفصل في مصطلحات اللغة العربية للدكتور إميل يعقوب ص ٦٥٣

(٢) معجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمد سمير اللبدي ص ١٤

فترفع الفاعل رجلاً كان أو امرأة، وتنصب المفعول، وتُقدّم كل منهما وتؤخره بلا تفريق بينهما في الإعراب، أو حكم التقديم والتأخير.

فالمرأة في هذه الأحكام تنعم بالمساواة مع الرجل، أما ما يمسُّ من الأحكام حقيقةُ جنسها فحقٌّ المرأة أن تتميز في جملتها عن الرجل، فتحظى بفوارق لفظية تميزها عنه، تحفظ لها هويتها الأنثوية في التركيب، وتكون مِرآةً لمدى الاحترام لها، وحفظ حقوقها؛ فحقُّ المرأة التفريق بينها وبين الرجل في أجزاء الجملة بتحقيق أصل المطابقة في الجنس في إسناد الفعل إليها، وفي الإخبار عنها، وفي الوصف، وفي الإشارة إليها، وغير ذلك، وذلك بإلحاق التاء بفعلها، وتأنيث خبرها، ووصفها، والإشارة إليها باسم الإشارة للمؤنث، فتقول مثلاً: هذه امرأةٌ صالحةٌ، والمرأةُ إذا صَلُحَتْ صَلُحَ المجتمعُ، فهي الأمُّ التي تربي، فقد تهدِمُ أو تَبْني.

وحقُّ التمييز للمرأة عن الرجل في الجملة هذا لا يمنع من وقوع المساواة بينهما في بعض الأحيان، كما هو الحال في التسوية بينهما فيما كان من الوصف بزنة فَعُول بمعنى فَاعِل، وفَعِيْل بمعنى مَفْعُول، ومِفْعَال، ومِفْعِيْل، ومِفْعَل فقد عوملت المرأة معاملة الرجل فيما جاء لها من وصفٍ على أحد هذه الأوزان، فجاء الوصف لها بغير التاء غالبًا، نحو قولنا: هذه امرأةٌ صَبُورٌ، وجَرِيحٌ، ومِعْطَارٌ.

وقد يقول قائل: أليس في ذلك ظلم للمرأة، وإجحاف بحقوقها؟

لا ظلم للمرأة – فيما أرى –لأمرين:

أحدهما: أن المرأة فرع للرجل، وإلحاق الفرع بالأصل في حكمه مما يقع كثيراً في كلامهم.

والثاني: أن الخروج عن الأصل قد يكون وراءه علل لفظية أو معنوية اقتضت ذلك، أو قد يخفي خلف أستاره أسرارًا بلاغية، أو دلالات اجتماعية أو نفسية، ولعل البحث التطبيقي في ديوان عمر بن أبي ربيعة يجلو بعضًا من ذلك.

٤- المرأة الحجازية في العصر الأموي: واقعها، وموقف عمر منها:

ليس من شأننا التأريخ المُفصّل لواقع المرأة الحجازية في هذا العصر، وإنما أن نلقي ضوءًا على ذلك بما يعيننا على تلمس أثر هذا الواقع في بناء جملة المرأة – إن صح التعبير – في شعر عمر بن أبي ربيعة.

فما واقع المرأة في الحجاز في هذا العصر؟ وما موقف الشاعر منها؟

يصف بعض المؤرخين هذا العصر بأنه (عصر التحرر الاجتماعي)[١]؛ فقد اتسعت فيه الفتوحات، وكثرت فيه الأموال، وكثر فيه الرقيق من الفرس والرومان، وكان لمكة من كل ذلك النصيب الأوفى، فقد غرقت – كما قيل – في ترفٍ ونعيمٍ لم تعرفه من قبل، وشاع فيها الغناء والموسيقى، وكثر فيها شعر الحب والغزل، لِمَا ساد المجتمع من الحرية في حياة الرجل والمرأة؛ فلم تعد المرأة حبيسة الدار، ولم تقتصر اهتماماتها على شؤون بيتها، فحرصَتْ على المشاركة في النشاطات الاجتماعية، والندوات الأدبية، فحاورَتْ الشعراء فكانت مستمعةً، وناقدةً ،وراويةً، ولم يقتصر ذلك على طبقة اجتماعية دون أخرى، فقد شاركت في ذلك حتى نساء الطبقة العليا من بنات الأسر الشريفة، ومنهن: سُكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة.[٢]

ولا شك أن تلك الحرية التي حظيت بها المرأة في هذا العصر، وذلك التغيير في القيم الاجتماعية كان لها أثرها في علاقة عمر بها، وصداها في شعره، فجاء شعره مرآة لذلك الواقع الاجتماعي للمرأة الحجازية، وكان ريشةً رسمَتْ ملامحها، وتفاصيلها النفسية والجسدية، ويرى الدكتور طه حسين بأنَّ من يقرأ ديوان عمر بن أبي ربيعة كله فإنه لن يجد فيه من وصف نفس المرأة وجمالها المعنوي إلا قليلاً

---

(١) ينظر المرأة العاشقة في الشعر الأموي لمحمد دوابشة ص ٥٩

(٢) ينظر العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف ١٢٩-١٤٦، ٣٤٨ وصورة المرأة في شعر شعراء العصر الأموي لانتصار محمد ص ٥٦، والمرأة العاشقة في الشعر الأموي لمحمد دوابشة ٤٨-٥٢

جدًا، وما يجده وصف جمالها المادي من جهة، ووصف ميولها وأهوائها من جهة أخرى، فلم يعرف العصر الأموي – كما يقول – شاعرًا وصف المرأة جملة وتفصيلاً بمثل ما وصفها به عمر بن أبي ربيعة جودة وكثرة ودقة [١].

وقد لخّص الدكتور طه حسين نظرة عمر إلى المرأة بأنه لم يكن يتصورها إلا على أنها مُكملة للرجل، ولا يستطيع أحدهما أن يعيش بدون الأخر، وهو يريد لها من الحقوق ما للرجل، فهو يريد أن يكون لها من الحرية ما للرجل، ويريد أن تُظهر المرأة فخرها بجمالها كما يظهر الرجل فخره بشجاعته، ويريد أن يستفيد المجتمع من المرأة كما يستفيد من الرجل، كما أنه يريد أن تزول الفروق بينهما. [٣]

نظرة عمر هذه للمرأة لا تدلّ على مدى حُبّه لها فحسب، وإنما تدلّ أيضًا على مدى احترامه لها، وإكرامه.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن:

ما مدى تأثير هذه النظرة في بناء جملة المرأة في شعر عمر؟

هل حرص عمر على إعطائها حقوقها النحوية، فاطرّد في شعره التفريق بينها وبين الرجل في الجملة أم فرّق بينهما حينًا، وساوى في حينٍ آخر؟

هذا مما سندع البحث يجيب عنه.

(١) ينظر من تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ص٦٠٦

المبحث الأول: ضمائرها

الضمائرُ في العربية – كما هو معلوم – ضمائرٌ منفصلةٌ ومتصلةٌ، والمُنفصلةُ تنقسم بحسب المدلول إلى ضمائر تكلمٍ وخطابٍ وغيبة، وبحسب الإعراب تنقسم إلى ضمائر رفعٍ، وضمائر نصبٍ، ومثلها في ذلك المتصلة إلا أنها تزيد عنها بأن منها ما يكون في موضع جرٍ أيضًا.

والناظر في العربية يلحظ حرصها على التفريق في هذه الضمائر بين المذكر والمؤنث سواء أكان المذكر رجلاً أم لم يكن، وسواء أكان المؤنث امرأة أم لم يكن، وذلك فيما عدا التثنية، والتكلم فإنه يلاحظ تسوية العربية بين الجنسين فيها.(١)

وإذا نظرنا في ديوان عمر فإننا نجده يلتزم في حَالٍ إعطاء المرأة حقها بتأنيث ضمائرها – وهو الأغلب – وفي أخرى لا يفعل ذلك.

فما يلاحظ في ضمائر الرفع المنفصلة للغائب حِرْصُ الشاعرِ على تأنيثِ ضميرِ المرأةِ، مع مطابقة الضمير لها في العدد، ولم يأتِ ضميرها الغائب في ديوانه إلا مفردًا أو جمعًا.

ومن شواهد وقوع ضمير المرأة المنفصل الغائب مفردًا قوله:

١ - هِيَ الشَّمْسُ تَسْرِي عَلَى بَغْلَةٍ وَمَا خِلْتُ شَمْساً بِلَيْلٍ تَسِيرُ(٢)

٢ - وَهْيَ كَالشَّمْسِ إِذْ بَدَتْ فِي دُجَاهَا فَأَبَانَتْ لِلنَّاظِرِينَ طُلُوعَا(٣)

٣ - فَاقْبَلِي العُذْرَ مِتُّ قَبْلَكِ مِنْهُ وهِيَ تُذْرِي لَمِا عَنَاهَا الدُّمُوعَا(٤)

ومن شواهد وقوع ضميرها المنفصل الغائب جمعًا قوله:

١ - طَلَبْنَ الصِّبا حتَّى إِذَا مَا أَصَبْنَهُ نَزَعْنَ وَهُنَّ المُسْلِمَاتُ الظَّوَالِمُ(٥)

---

(١) ينظر تفصيل ذلك مثلاً في شرح الكافية الشافية لابن مالك ١/ ٢٢٥- ٢٣٠، وشرح الألفية لابن الناظم ٥٦-٦٠

(٢) البيت من المتقارب، ينظر الديوان ص ١٢٣

(٣) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ١٨٣

(٤) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ١٨٤، وتُذْرِي الدموع: تسكبها.

(٥) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٢٠١

٢ - نَـوَاعِمُ لَـمْ يَـدْرِينَ مَـا عَـيْشُ شِـقْوَةٍ ولاَ هُـنَّ نَمّـاتُ الحـديثِ زَعَـانِفُ[١]

ولم أقف على شواهد لاستعمال الشاعر ضمير الغائبات (هنّ) للمرأة مفـردةً في كل ديوانه، كما لم أقف على شواهد لوقوع ضمير المـرأة المنفصـل للغائـب منصوبًا.

فإذا انتقلنا إلى ضمائر الرفع المنفصلة للمخاطب فإننا نجد الشاعر لا يلتـزم في خطابه للمرأة الواحدة بمخاطبتها بضميرها الذي تستحق المطـابق لهـا جنسًـا وعددًا، وهو ضمير الخطاب (أنتِ)، بل نجده تارة يستعمله في خطابها وهو الأكثر، وتارة أخرى نجده يستعمل ضمير المُخاطبين (أنتم) الذي لا يطابقهـا جنسًـا، ولا عددًا.

ومن شواهد استعماله ضمير المخاطبة (أنتِ) في خطابه للمرأة الواحدة قوله:

١ - أنْـتِ المُنَـى وَحَـدِيثُ الـنَّفْسِ خَالِيَـةً وَفِـي الجَمِيـعِ وَأنْـتِ السّـمْعُ والبَصَـرُ[٢]

٢ - فَأنْـتِ وَبَيْـتِ اللهِ هَمِّـي وَمُنْيَتِـي وَكِبْـرُ مُنَانَـا مِـنْ فَصِـيحٍ وَأعْجَـمِ[٣]

ومن شواهد استعماله ضمير المُخاطَبين في خطابها قوله:

١ - أَنْـتُمُ هَمُّنَـا وكِبْـرُ مُنَانَـا وأَحَادِيثُنَـا وإنْ لم تُـزَارُوا[٤]

٢ - قُلْـتُ: مَـنْ أَنْـتُمُ؟ فَصَـدّتْ وَقَالَـتْ: أَمُبِـدٌ سُـؤَالَكَ الْعَالِمِينَـا[٥]

٣ - قُلْـتُ: أهْـلاً أنْـتُمُ بِغْيَتُنَـا فَتَسَـمَّيْنَ، فَقَالَـتْ: أَنَـا هِنْـد[٦]

---

(١) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٤٥٧، وزَعَانِفُ: جمـع زِعْنِفَـة، والنسـاء الزِّعانِف: الخَسائِس، اللئيمات.

(٢) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٠٤

(٣) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٩٥

(٤) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ١٢٥

(٥) البيت من الخيف، ينظر المصدر السابق ص ٢٩٢

(٦) البيت من الرمل، ينظر المصدر السابق ص ٣١٤

وعدم إعطاء الشاعر المرأة حقها في هذه الشواهد الأخيرة بخطابها بضمير الخطاب لجمع الذكور (أنتم)، وليس بضميرها الذي تستحق، وهو: (أنتِ) يجعلنا نتساءل عن سبب فعله ذلك مع ما في ظاهره من إجحاف بحقها، وعدم إنصاف.

الحقيقةُ أن مَنْ لا يعرف طرائق العرب في كلامهم قد يَظُنّ ذلك، ولكن من يعرف فإنه يعلم بأن فعل الشاعر ذلك قد كان تعظيمًا لحبيبته، واحترامًا لها وإجلالاً، وإظهاراً لرفعة منزلتها عنده، فمِنْ سَنَن العرب في كلامهم "مخاطبة الواحد بلفظ الجمع، فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري" (١).

"وأكثر من يخاطب بخطاب الجمع هذا الملوك؛ لأن من مذاهبهم أن يقولوا: نَحْنُ فعلنْا، يقولُه الواحدُ منهم يعني نفسه، فخوطبوا بمثل ألفاظهم" (٢).

فعظم شأن المحبوبة في قلب الشاعر، وعلو مقامها عنده كان وراء خطابها بضمير الجمع ذاك، وهنا قد يتبادر إلى الأذهان سؤال وهو: لِم لَمْ يَكْتَفِ الشاعر تعظيمًا لمحبوبته بخطابها بضمير الخطاب لجمع الإناث (أَنْتنَّ) وهو المطابق لها في الجنس، وليس ضمير جمع الذكور (أَنْتُم)؟

قد يكون ذلك – في رأيي – لأمرين:

أحدهما: المبالغة في تعظيم المحبوبة، فهو تعظيم فوق تعظيم، تعظيم من جهتين: الأولى: بالعدول عن المطابقة بينها وبين ضميرها في العدد بخطابها بضمير الخطاب للجمع وليس الواحد.

والثانية: بالعدول عن المطابقة بينها وبين ضميرها في الجنس باستعمال ضمير الخطاب لجمع الذكور لا جمع الإناث فكأنه أراد بذاك العدول في العدد والجنس لَفْتَ الانتباهِ إلى اختلاف هذه المحبوبة عن غيرها منزلة وشعورًا.

---

(١) الصاحبي لابن فارس ٣٥٣

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩٣

والأمر الثاني: أن ضمير الجمع (أَنْتُمْ) أخفّ من ضمير جمع الإناث (أَنْتُنَّ)، فمع اتفاق الميم والنون في صفة الجهر لكنْ يختلفان في الضميرين خفةً وثقلاً، فالميم في (أَنْتُمْ) أخفّ لسكونها، والنون في (أَنْتُنَّ) أثقل لتشديدها.

ولم أقف لخطاب جمع الإناث في الديوان إلا على شاهدٍ واحدٍ يُلاحظ فيه حِرْصُ الشاعر على إعطاء الإناث حقهن باستعماله في خطابهن ضمير الخطاب لجمع الإناث لا جمع الذكور، والشاهد هو[1]:

قَالَتْ لِقَيْنَاتٍ يَطُفْنَ بِهَا حَوْلِي وَدَمْعِي دَائِمٌ سَبَلُهْ

أَنْتُنَّ زَيَّنْتُنَّ فُرْقَتَنَا وَلِكُلِّ صَاحِبِ زِينَةٍ عَمَلُهْ

ومن شواهد وقوع ضمير المرأة المخاطبة منفصلاً مَنصوبًا قوله [2]:

لَيْسَ إِلاَّى وَإِيَّا هَا وَلاَ نَخْشَى رَقِيبَا

ويلاحظ في الشاهد إعطائه المرأة حقها بتأنيثه ضميرها.

هذا عن موقف الشاعر من المرأة في استعمال ضمائرها المنفصلة غيبًة وخطابًا، فإذا نظرنا في موقفه منها في استعمال ضمائرها متصلةً فإننا نلاحظ ما يلي:

أولاً: كثرة إعادة ضمير جمع الذكور المتصل للغائبينَ (هُمْ)، وللمخاطبين (كم) على محبوبته، وحَقُّها: استعمال ضمير الغائبة الهاء المفتوحة (هَا)، وضمير المخاطبة الكاف مكسورة (كِ)، وشواهد ذلك أكثر من أن تحصى.

ومما يلفت الانتباه حِرصُ الشاعرِ على أن يكتنف الكلام قرائن لفظية أو معنوية، أو كلاهما تدل على قصد المرأة المحبوبة بذاك الضمير، ومن تلك القرائن اللفظية: ذِكْرُ اسم المحبوبة، أو وصفها، وما أشبه، أو ذِكْرُ ضميرِها المؤنث

---

(١) البيت من المنسرح، ينظر الديوان ص ٣٥٨، والقَيْنَات: جمع قَيْنَة وهي الأَمَة مُغَنّية كانت أم غير مُغَنّية.

(٢) البيت من الرمل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٤٧٧

متقدماً على ضمير جمع الذكور أو متأخراً، وهذا الضمير قد يكون كافَ المخاطبةِ، أو تاء المخاطبة، أو ياء المخاطبة، أو نون الإناث، أو هاء الغائبة.

ومن تلك الشواهد – والقرينة لفظية، أو لفظية ومعنوية – قوله:

١- أفاق إذ بخلَتْ هِنْدٌ وَمَا بَـذَلَتْ مَـا كُنْـتُ آمُلُـهُ مِنْهَـا وَأَنْتَظِـرُ [١]

وقد حَذِرْتُ النّوَى في قُرْبِ دَارِهِـمِ فَعِيل صَـبْرِي ولَـمْ يَنْفَعْنِـيَ الحَـذَرُ

٢- قُلْ لِلْمَلِيحَةِ قَدْ أَبْلَتْنِـيَ الـذِّكَرُ فَالدَّمْعُ كُـلَّ صَـبَاحٍ فِيـكِ يَبْتَـدِرُ[٢]

فَلَيْتَ قَلْبِـي وفِيـهِ مِـنْ تَعَلُّقِكُـمْ مَا لَيْسَ عِنْدِي لـه عِـدْلٌ ولاَ خَطَـرُ

٣- وما مَلِلْتُ، ولكِـنْ زَادَ حُـبُّكُمُ ومَـا ذكرْتُـكِ إلاَّ ظَلْـتُ كالسَّـدِرِ[٣]

٤- أَلَمْ تَعْلَمِي مَا كُنْتُ آلَيْتُ فِـيكُمُ وأَقْسَمْتِ لا تخْلِينَ ذَاكِـرَةً بِاسْـمِي[٤]

٥- شَكَوْتُ إلى بَكْرٍ وقَدْ حَالَ دُونَهَا مُنِيفٌ مَتَى يُنْصَبْ لَهُ الطَّرْفُ يُحَسِرِ [٥]

فَقُلْتُ: انْطَلِـقْ نَتْـبَعْهُمُ إنَّ نَظْـرَةً إلَـيْهِمْ شِـفَاءٌ للفُـؤَادِ المُضَـمِّرِ

٦- قُلْـتُ: أهْـلاً بِكُـمُ مِـنْ زُوَّرٍ زُرْنَ كَرِيمَـا [٦]

ومن تلك الشواهد – والقرينة معنوية – قوله [٧]:

مَـا إنْ أَرَدْنَـا وِصَـالَ غَيْـرِهِمُ وَلاَ قَطَعْنَـاهُمُ كَمَـا قَطَعُـوا

وَلاَ ضَـنِنّا عَـنْهُم بِنَائِلِنَـا وَلاَ خَشِـينَا الّتِـي بِهَـا وَقَعُـوا

(١) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٠٦، وعِيل صَبْرِي: ضعف.

(٢) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٠٥، وعِدْلٌ الشيء: ما يساويه قدرًا، ومثله (الخطر) في المعنى.

(٣) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ١١٦، والسَّدِر: التائه الشديد الحيرة.

(٤) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٢٣٥

(٥) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٩٧، ومُنِيفٌ: أي جبلٌ عالٍ، ويُحَسِر: يكلّ ويتعب.

(٦) البيت من الرمل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٢٤١

(٧) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ١٨٦

ثانيًا: إعادة الشاعر ضمير جمع الذكور (واو الجماعة) على المرأة مفردةَ وجمعًا في شواهد عدة، وحقُّها – وقد تقدم – إعادة ضمير المؤنثة الغائبة عليها إذا كانت مفردة مع تأنيث الفعل، وإعادته أو نون الإناث إذا كانت جمعًا [١]، وإعادة واو الجماعة عليها مفردة أو جمعًا لم يُشر إليه، أو إلى حكمه أحد من النحاة ممن نظرْتُ في كتبهم، وهذا يجعلنا نتساءل عن علة إغفالهم الإشارة لذلك مع وروده في ديوان عمر، وهو ممن يُحتج بشعره.

ومن شواهد عود واو الجماعة على المرأة مفردةً في شعره قوله:

١- أَللصِّرْمِ تَطّلِبِينَ الذُّنُوبَ وَلَمْ أَجْنِ ذَنْباً لكي تَغْدِرُوا [٢]

٢- أرَى مَا يَلِي نَجْدًا إذَا مَا حَلَلْتِهِ جَمِيلاً وَأَهْوَى الغَوْرَ إن تَتَتَهَّمُوا [٣]

٣- وإنْ شِئْتِ غُرْنَا نَحْوَكُمْ ثُمَّ لَمْ بِمَكّةَ حَتّى تجْلِسُوا قَابِلاً نَجْدَا [٤]

ومن شواهد عود واو الجماعة على جمعها (جمع تكسير) قوله [٥]:

وَقَالتْ لأَتْرَابٍ لهَا حِينَ عَرِّجُوا عَلَيّ قَلِيلاً: إنَّ ذَا بِي يَسْخَرُ

ومن شواهد عوده على اسم جمعها قوله: [٦]

قَوْلُ نِسْوَانِهَا إذَا حَفَلَ النِّسْوَانُ فِي مَجْلِسٍ وقَلّ الإمَارُ
إنّها عَفّةٌ عَنِ الخُلْقِ الْوَا ضِعِ والطُّعْمَةِ الّتِي هِيَ عَارُ

---

(١) ينظر مبحث (في إسناد الفعل).

(٢) البيت من المتقارب، ينظر الديوان ص ١٦٥

(٣) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٢٠٧، والنَجْد: ما ارتفع من الأرض، والغَوْرَ: ما انخفض منها، وتَتَتَهّمُوا: يقال: اتهم فلان إذا أتى تِهامة.

(٤) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٣٠٨، وغُرْنَا: أتينا غور تِهامة، وتجْلِسُوا: تأتون نجدًا، يقال: جَلَس فلانٌ أي: أتى نجدًا.

(٥) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٥٨

(٦) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ١٢٥، الإمار: مصدر بمعنى المؤامرة، وأستطار: أذعر.

نَعَتُوهَـا فَأَحسَـنوا النّعْـتَ حَتّـى كِدْتُ مِنْ حُسْـنِ نَعْـتِهِمْ أُسْـتَطَارُ

ومما يُلاحظ تعبيره عن المحبوبة أحياناً بـ (الجيران)، وبـ (الخَلِيْط)[١] ، ثم إعادته تبعًا لذلك ضمير واو الجماعة عليها لا ضمير المؤنث، ومن شواهد تعبيره عنها بـ (الجيران)، وإعادة الواو عليها قوله: [٢]

أَضْـحَى فُـؤَادُكَ غَيْـرَ ذَاتِ أَوَانِ بَلْ لَـمْ يَرُعْـكَ تَحَمُّـلُ الجِيـرَانِ

بَانوُا وصَدَّعَ بَيْنَهُمْ شَـعْبُ النّـوَى عَجَبًـا! كَـذَاكَ تَقَلُّـبُ الأَزْمَـانِ

أَخْطَـا الرَّبِيـعُ بِلاَدَهُـمْ فَتَيَمَّنُـوا ولُحـبِّهِمْ أَحْبَبْـتُ كُـلَّ يَمَـانِ

سَقْيًا لِـدَارِهِمِ الّتِـي كَـانُوا بِهَـا إِذْ لَـا يَـزَالُ رَسُـولُهمْ يَلْقَـانِى

ومن شواهد تعبيره عنها بـ (الخليط)، وإعادة الواو عليها قوله: [٣]

إنَّ الخَلِيطَ الذِي تَهْوَى قَدِ ائْتَمَـرُوا بِالْبَيْنِ ثم أجَدُّوا البَـيْنَ فَـابْتَكَرُوا

وكُنْتُ أكمَيْتُ خَوْفًـا مِـنْ فِـرَاقِهِم فَأَصْبَحُوا بالذِي أَكْمَيْتُ قَدْ جَهَـرُوا

والحقيقة مما يلفت النظر في الديوان ما يثيره الشاعر من دهشة وحيرة في تحديد مرادهً بالضمائر، أيقصد بها المرأة أم جمع الذكور؟ أيقصد بمرجع الضمائر (الجمع) محبوبته أم أهلها، أو الركب الذي هي أحد أفراده؟ فمثلاً لو نظرنا في البيتين السابقين فإننا نجد ظاهرهما يشير إلى أن المقصود بـ (الخليط) هي

(١) الخَلِيْط: هو المُخَالِط والمجاور، ولفظه لفظ الواحد، ومعناه الجمع.

(٢) البيت من الكامل، ينظر الديوان ص ٢٨٤-٢٨٥ وينظر ص ١٨٥-١٨٦، ولَمْ يَرُعْكَ: لم يخفك، وتَحَمُّلُ الجِيرَانِ: ارتحالهم، والرَّبِيعُ: المطر، وتَيَمَّنُوا: ساروا نحو اليمين.

(٣) البيت من البسيط، ينظر الديوان ص ١١٠، أكميت: أخفيت وسترت.

المحبوبة، لكنه يفاجئنا ببيتٍ يتلوهما يعيد فيه واو الجماعة على (الخليط) قاصدًا به – فيما يبدو – جمع الذكور من الأهل أو الركب حيث يقول: (١)

بَانُوا بِهِرْكَوْلَةٍ فَعْمٍ مُؤَزَّرُهَا كأنّهَا تَحْتَ سِجْفِ القُبَّةِ القَمَرُ

ولا يمكن تفسير المراد بالواو في (بانوا) إلا بأن المراد به الأهل أو الركب فهو في البيت يذكر بأن أولئك الأهل أو الركب قد رحلوا بعيدًا ومعهم تلك المحبوبة الموصوفة بما ذكر، ثم نجده في أبياتٍ تاليةٍ في القصيدة يعود مرةً أخرى فيجعل الواو مرادًا به حبيبته، حيث يقول: (٢)

قَدْ أَرْسَلُوا كَيْ يُحَيُّونِي فَقُلْتُ لَهُمْ: كَيْفَ السَّلَامُ وَقَدْ عَدَّى بِهِ القَدَرُ؟

لَوْ أَنّهُمْ صَبَرُوا عَمْدًا فَنَعْرِفَهُ مِنْهُمْ إذًا لَصَبَرْنَا كالّذي صَبَرُوا

لكِنَّهُمْ زَادَنَا وجْدًا بِهِمْ كَلَفٌ ومُتْرَعٌ مِنْ رَجيعِ الدَّمْعِ مُبْتَدِرُ

وأنّهَا حَلَفَتْ بِاللهِ جَاهِدَةً وَمَا أَهَلّ لَهُ الحُجّاجُ وَاعتَمَرُوا

فالشاعر – كما ترى – يتصرف في الضمائر في أبياته بحريةٍ لا يُقيده فيها قيدٌ إلا ما يُمليه عليه هواه، تاركًا للقارئ من خلال السياق فَهْم مراده.

---

(١) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ١١٠، وبانوا: بعدوا، والهركولة: ضخمة الوركين، وفَعْم: ضخم، ومُؤزرها: موضع عقد الإزار، والمراد: أردافها، وسجف القبة: سترها.

(٢) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ١١١

المبحث الثاني: الإشارة إليها:

مَيَز العربُ في أسماء الإشارة بين الرجل والمرأة، فلكل منهما أسماؤه في الإفراد والتثنية، أما في الجمع فلم تُعْطَ المرأة حقهّا فشُورك بينها وبين الرجل في الاسم.

وذلك التمييز للمرأة في الإشارة للمفردة والمثناة لا تحظى به وحدها، وإنما كل مؤنث في العربية حقيقيًا كان أم لم يكن.

ومن أسماء الإشارة للمؤنثة القريبة – وهي عشرة –: ذي، وذِه، وتِي، وتَا، ومن أسمائها في حال التوسط: تِيْكَ وتَيْكَ، وللبعيدة: تِلْكَ وتَلْكَ.

أما اسم الإشارة للمثنى المؤنث فله في القُرب لفظ واحد، وهو: (تَانِ) في الرفع، وفي التوسط والبُعْد: تَانِك، أما اسم الإشارة للجمع المشترك بين الجنسين في (أولاءِ) ممدودة أو مقصورة للقريب، و(أولئك) للمتوسط [١]، ونقل ابن مالك للبعيد – على رأي قومٍ – أُولئِك أيضاً، وأولالِك [٢].

ومع كثرة ألفاظ اسم الإشارة للمفردة المؤنثة في العربية – كما رأينا – نجد الشاعر في ديوانه يقتصر في الإشارة إلى محبوبته باسم إشارة واحد، وهو اسم الإشارة للمؤنثة البعيدة (تِلك).

ومما يلاحظ غلبةُ وقوعِ المُشار إليها اسم الموصول للمؤنثة (التي)، ونُدْرة وقوعه عَلَمًا، أو اسم جنس، فلم أقف على وقوعه عَلَماً لامرأةٍ سوى على شاهدٍ واحدٍ، وكذلك على وقوعه اسم جنس مرادًا به المرأة.

وشاهد وقوعه علمًا لامرأة قوله: [٣]

تِلْكَ هِنْدٌ تَصُدُّ لِلْهَجْرِ صَدَّا أَدَلاَلٌ أَمْ هَجْرُ هِنْدٍ أُجِدَّا؟

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: شرح التسهيل لابن مالك ٢٣٩/١-٢٤١، والمساعد لابن عقيل ١٨٢/١-١٨٤

(٢) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٢٤١/١

(٣) البيت من الخفيف، ينظر الديوان ص ٣٠٨، وأُجِدَّ: أَجدّ الشيء: صيره جديدًا.

وشاهد وقوعه اسم جنس قوله: (١)

تِـــــرْبٌ لِهْنَـــــدٍ غَـــــادَةٌ تِلْـــــكَ غَـــــزَالٌ مُعْصِـــــرُ

وليس لأحدٍ ادعاء عدم إنصافه للمرأة في البيت لوقوع المشار إليها اسم جنس مذكر، وهو: غزال، فالشاعر

لم يُرد بذلك إلا تشبيه صديقة الحبيبة به في خفة الحركة وجمال القوام، فكأنه قال: تلك كالغزال في مشيتها وجمالها.

وقد حذف الشاعر المُشَار إليها في شاهدٍ تاركًا للسامع مُهمّة تقديره، وذلك في قوله: (٢)

وَبِتِلْكَ أَهْذِى مَـا حَيِيـتُ صَـبَابَةً وبِهَـا الغَـدَاة أُشَـبِّبُ الأَشْـعَارَا

وتقديره – فيما يبدو – المرأة أو المحبوبة، وهي: (بِشْرَة) التي ذكرها في أبياتٍ سابقة، ومنها قوله: (٣)

فَسَـقَتْك بِشْـرَةُ عَنْبَـراً وقَـرَنفُلاً وَالزّنْجبِيـلَ وخِلْـطَ ذَاكَ عُقَـارَا

ومن شواهد وقوع المشار إليها (التي) قوله:

١- تِلْـكَ الّتِـي سَـلَبَتْنِي الْعَقْـلَ والغَانِيَات وإنْ وَاصَـلْنَنَا غُـدُرُ (٤)

٢- فِـيهِنّ هِنْـدٌ والهَـمُّ ذِكْرَتُهَـا تِلْكَ الّتِي لاَ يُـرَى لهَـا خَطَـرُ (٥)

٣- تِلْـكَ الَّتِـي لَـيْسَ لهَـا فِـي النّـاسِ شِـبهْاً بَشَـرُ (٦)

---

(١) البيت من الرجز المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ١٦١، والتِرْبٌ: المساوية في السن، والغادة: الناعمة اللينة، والمُعْصِر: التي بلغت أوان شبابها.

(٢) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٢١

(٣) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ١٢٠، وبِشْرَةُ: اسم امرأة، وخِلْطَ ذَاكَ: أي مُخالطه.

(٤) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٠٤

(٥) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ١٣٤، وخَطَرُ: عَدْل.

(٦) البيت من الرجز المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ١٦٣

واقتصار الشاعر على استعمال اسم الإشارة للمؤنث البعيد للمرأة في ديوانه، وغَلَبة وقوع المشار إليها اسم الموصول (التي) يجعلنا نتساءل عن علة ذلك.

والحقيقة أننا لا نستبعد أن يكون الاقتصار على الإشارة للمحبوبة وما أشبهها بـ (تلك) للإلماح إلى بعد المرأة المشار إليها عن الشاعر، وهذا البعد قد يكون ماديًا حقيقيًا يدل على بعد المسافات بينه وبينها؛ لارتحالها، أو بعد ديارها، وقد يكون معنويًا، لصدودها وهجرها، وإبائها وتمنعها، وقد يكون للدلالة على بُعْد المنزلة وشرف مكانتها الاجتماعية، أو رفعة مكانها في قلب الشاعر، ولعل ذلك قد يكون أيضًا تعظيماً لها، وتكريماً.

أما كثرة وقوع المشار إليها موصولاً مبهمًا فذلك قد يكون لأسباب منها: معرفة السامعين بها بدليل من الحال أو المقال، أو رغبة الشاعر في إبهامها على السامعين مُكتفيًا بسرد بعض صفاتها في الصلة، أو عدم رغبة الشاعر.

في ذكر اسمها لما يحمل في نفسه من سخط عليها وغضب؛ لما أورثته من حُزْنٍ وهَمّ، ولما جعلَتْه يُكابد من ألمٍ ووَجَع حُبٍّ، وصَدٍّ وهَجْر، وقد يكون أحيانًا تعظيمًا لها إذا تضمنت الصلة صفات مدحٍ لها وثناء.(١)

(١) ينظر أسباب التعريف بالموصول في (الإتقان) للسيوطي صـ ٤٥٦، ومعاني النحو للدكتور فاضل السامرائي ١/١١٢-١١٣

المبحث الثالث: موصولاتها:

كثرت الموصولات الاسمية في العربية، وتنوعَتْ ألفاظها، فمنها: المُختص الذي حرصت العربية على التفريق فيه بين المذكر والمؤنث باختلاف العدد، والمُشترك الذي لم يُفْرق في لفظِه بين مذكرٍ ومؤنث، والأول: (الذي) وفروعه [١]، ومن الثاني: (مَنْ) و(مَا)، و(أي). [٢]

ومقتضى الإنصاف للمرأة في الموصولات إعطاؤها حقها الذي يتمثل في أمرين: أحدهما: مطابقة الموصول لها جنسًا وعددًا إذا كان الموصول مختصًا، باستعمال (التي) للمفردة، و(اللتين) للمثنى، و(اللاتي)، أو(اللائي)، أو(اللواتي) للجمع، أما (الأُلَى) للجمع فهو موصول مشترك بين المؤنث والمذكر، وليس بالمؤنث مختصًا. [٦١]

والثاني: مطابقةُ عائدِ الصلةِ لموصولها جنسًا وعددًا، أو لفظًا ومعنى – كما عبّر النحاة – إذا كان الموصول مُختصًا، ومطابقته لموصولها معنى لا لفظًا إذا كان مُشتركًا.

تقول: أقبلَتْ المرأةُ التي عرَفْتُها للمجدِ طامِحةً، والنساءُ اللاتي عرفْتُهنّ للمجدِ طامحاتٍ، والمرأةُ مَنْ عرفْتُها للمجدِ طامحةً، والنساءُ مَنْ عَرفْتُهْن للمجدِ طامحاتٍ.

وما نصّ عليه النحاة جواز مراعاة عائد الصلة للفظ الموصول أو معناه إذا كان مُشتركًا، والأحسن في العربية والأكثر – كما قالوا – مراعاة اللفظ ما لم يُؤدِ إلى لَبْسٍ أو قبح، أو تقدّم عليه ما يَعْضُدُ المعنى، فإن أدّت إلى أحد الأمرين، أو تقدّم عاضِدٌ لم يُراعَ اللفظ، وروعي المعنى [٣].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في شرح التسهيل لابن مالك ١/١٨٨-١٩٣، والمساعد ١/١٣٨-١٤٥

(٢) ينظر التفصيل في شرح التسهيل لابن مالك ١/١٩٦، والمساعد ١/١٤٦-١٤٩

(٣) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ١/٢١٢-٢١٤، والمساعد ١/١٥٩-١٦٠، وشفاء العليل ١/٢٣٦-٢٣٧

وإن نظرنا في ديوان الشاعر فإننا نلمس حرصه على إعطاء المرأة حقها بتأنيث موصولها وعائد الصلة إذا كان الموصول مختصاً في جميع المواضع، ومن شواهد استعماله اسم الموصول المختص (التي) للمرأة مفردة – وهي كثيرة – قوله:

١- تِلْكَ التِي سَبَتِ الْفُؤَادَ فأَصْبَحَتْ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَهَا مَأْسُورُ [١]

٢- وَذَكَرْتُ فَاطِمَةَ الّتِي عُلِّقْتُهَا عَرَضًا فَيَا لَحَوَادِثِ الدّهْرِ [٢]

٣- ثُمّ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا وَيْحَ نَفْسِي قَدْ أَتَى عُمَرُ [٣]

أما استعماله اسم الموصول المختص للمرأة مجموعةً فقد وقفْتُ على شاهدين لذلك، استعمل في أحدهما: (اللواتي) المختص بجمع المؤنث، وفي الثاني: (الأُلَى) الذي يقع لجمع المؤنث كما يقع لجمع المذكر [٤] – كما مرّ بنا – والشاهد الأول قوله: [٥]

غَرّاء فِي غُرَّةِ الشّبَابِ مِنَ حُورِ اللّوَاتِي يَزِينُهَا خَفَرُ

والثاني قوله: [٦]

لَئِنْ كَانَ مَا حَدّثْتَ حَقًّا فمَا أَرَى كَمِثْلِ الأُولى أطْرَيْتَ في النّاسِ أرْبَعَا

أما الموصولات المشتركة فلم يستعمل منها للمرأة في ديوانه سوى (مَنْ) و(مَا)، وهما يكونان بلفظٍ واحدٍ للمؤنث والمذكر مفردًا كان أم مثنى أم جمعًا [٧]، ولم أقف على شاهدٍ لوقوع (ما) مرادًا به المرأة إلا على شاهدٍ واحدٍ، وهو قوله [٨]:

---

(١) البيت من الكامل، ينظر الديوان ص ١١٧

(٢) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ١٤٥، وعُلِّقْتُهَا عَرَضًا: أي عن غير تعمد مني لذلك.

(٣) البيت من المديد، ينظر المصدر السابق ص ١٥٣

(٤) ينظر شرح التسهيل ١٩٣/١، وشرح الألفية لابن الناظم ٨٤، والمساعد ١٤٥/١

(٥) البيت من المنسرح، ينظر الديوان ص١٣٥، وغَرّاء: بيضاء، وغُرَّةِ الشّبَاب: أوله، والحُور: جمع حَوْراء، وهي الشديدة بياض بياض العين، وشديدة سواد سوادها، والخَفَرُ: الحياء.

(٦) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٧٠

(٧) ينظر شرح التسهيل ٢١٢/١، وشرح الألفية لابن الناظم ٨٥

(٨) البيت من البسيط، ينظر الديوان ص ١٠٩

قَالَتْ قُرَيْبَة لمَّا طَالَ بِـــي سَـــقَمِي وَأنكَرَتْ بِي انْتِقَاصَ السِّـــمْعِ وَالبَصَـــرِ

يَا لَيْتَنِي أَفْتَدِي مَا قَـــدْ تَهِـــيمُ بِـــهِ بِبَعْضِ لحمي وَبَعْضِ النّقْصِ مِنْ عُمُرِي

وما يُلاحظ في استعماله (مَنْ) للمرأة ما يلي:

أولاً: حذفه عائد الصلة في بعض الشواهد تاركًا للسامع حرية تقديره مؤنثًـــا إذا روعي المعنى – وهو حقُّها – ومذكرًا إذا روعي اللفظ، ومـــن شـــواهد ذلـــك: قوله(١):

إنّ مَنْ تَهْوَى مَـــعَ الفَجْـــرِ ظَعَـــنْ لِلْهَـــوَى وَالقَلْـــبُ مِتْبَـــاعُ الـــوَطَنْ

فللسامع تقديرُ العائد على (مَنْ) في البيت مؤنثًا، فيقول: (تهواهـــا)؛ مراعـــاة لمعنى (مَنْ)، أو مذكرًا، فيقول: (تهواه)؛ مراعاة للفظها.

ومثله قوله (٢):

مَا عَلَى الأَرْضِ مَنْ أُحِـــبُّ سِـــوَاكُمْ مِنْ جَمِيعِ النِّسَـــاءِ قَالَـــتْ: فَهَـــلاّ

وقوله (٣):

ألاَ يَـــامَنْ أُحِـــبُّ بِكُـــلِّ نَفْسِـــي وَمَنْ هُوَ مِنْ جَمِيعِ النّاسِ حَسْـــبِى

ثانيًا: غلبة تذكيره العائد على (مَنْ) الموصولة؛ مراعاةً للفظه على تأنيثـــه؛ مراعاةً لمعناه، فلم أقف لمراعاته

المعنى إلا على شاهدٍ واحدٍ يُلاحظ فيه تقدم ما يُعضِّد المعنى علـــى (مَـــنْ)، وهو قوله (٤):

إنّ خَيْرَ النِّسَـــاءِ عِنْـــدِي وِصَـــالاً مَنْ تُـــؤاتِى بِوَصْـــلِهَا مَـــا هَوِينَـــا

(١) البيت من الرمل، ينظر المصدر السابق ص ٢٧١

(٢) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٣٥٦

(٣) البيت من الوافر، ينظر المصدر السابق ص ٤٧٧

(٤) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٢٩٤

فقد تقدّم في البيت ما عَضَد مراعاة المعنى وهو قوله (خير النساء).

ومما يُلفت النظر مراعاته لفظ (مَنْ)، وإهماله المعنى مع تقدم ما يَعْضُده في شاهدٍ آخر، وهو قوله(١):

قُلْتُ: مَنْ أنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا مَنْ شَفّهُ الوَجْدُ وَأَبلَاهُ الْكَمَدْ

فالشاعر – كما ترى – أعاد ضمير المذكر على (مَنْ) المراد به المرأة، مع تقدم ما يُقوي جانب مراعاة المعنى، وهو وقوع ضمير المخاطبة المنفصل (أنتِ) قبل (مَنْ) في سؤال الشاعر للمرأة عن هُويتها.

ومن شواهد تذكير العائد على (مَنْ) مُراداً به (المرأة) قوله (٢):

بِنَفْسِيَ مَنْ شَفّنِي حُبُّهُ وَمَنْ حُبُّهُ بَاطِنٌ ظَاهِرُ

وَمَنْ لَسْتُ أصْبِرُ عَنْ ذِكْرِهِ وَلاَ هُوَ عَنْ ذِكْرِنَا صَابِرُ

وقوله (٣):

فَفَدَيْتُ مَنْ أُشْفَى بِرُؤْيَتِهِ وَأَبَى وَكَانَ كَثِيرَةً عِلَلُهْ

ظَبْيٌ تُزَيِّنُهُ عَوَارِضُهُ وَالعَيْنُ زَيَّنَ لَحْظَهَا كَحَلُهْ

وقوله (٤):

وَفَدَيْتُ مَنْ كَانَتْ مَسَاكِنُهُ بِالسَّهْلِ أَوْ مُسْتَوْعِرٌ جَبَلُهْ

ومثل هذه الأبيات في (مَنْ) بيت (مَا) المتقدم: ياليتني افتدي ما قد تهيمُ به ...

---

(١) البيت من الرمل، ينظر الديوان ص ٣١٤، وشَفّهُ: أضناه، والوَجْدُ: شدة الحب، والْكَمَدْ: الحزن.

(٢) البيت من المتقارب، ينظر المصدر السابق ص ١٠٨

(٣) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ٣٥٨، عَوَارِضُهُ: جمع عارض، وهو صفحة الخدّ.

(٤) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ٣٥٩

(٥) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك٢١٢/١، وشرح الجمل لابن عصفور ١٨٩/١، وشرح الكافية للرضي٥٦/٣، والارتشاف ١٠٢٤/٢، والهمع ٢٩٩/١

فقد عاد الضمير فيه مذكرًا أيضًا على (مَا) مع تأنيث معناها، ووجود ما يُعضّد المعنى في جملة الصلة لا قبلها، وهو الفعل: (تهيم) الذي يدل معناه على قَصْدِ المرأةِ بـ (مَا).

ويبقى بعد هذا أن نقول بأنّ غلبة مراعاة الشاعر في عائد الصلة – لفظ الموصول المذكر لا معناه المؤنث مع وقوعه للمرأة يثير تساؤلاً في الذهن عن سبب ذلك مع إباحة العربية له التأنيث والتذكير – كما أشرْتُ من قبل؛ إذ مقتضى تقدير الشاعر للمرأة، وشغفه بها إعطاؤها حقها بتأنيث الضمير العائد على الموصول المقصودة به لا تذكيره.

الحق أنه لا يبعد – في رأيي – أن يكون ذلك لأمرين:

أحدهما: مجاراة الشاعر للكثير في العربية، فقد صرح النحاة – وقد تَقَدّم – بأن الأحسن والأكثر في العربية مراعاة لفظ (مَنْ) لا معناه إنْ لم يُؤدِ ذلك إلى لَبْسٍ، أو قُبحٍ، أو تَقَدَّمَ ما يَعْضُد المعنى .(٥).

والثاني: ما يُحدثه تذكير ضمير المرأة العائد على (مَنْ) من غموض مثير وإبهام في تحديد هوية المقصود بـ (مَنْ) في ذهن السامع في أول الأمر، ثم لا يلبث ذلك طويلاً حتى ينجلي وتنكشف أستاره بما في السياق من قرائن حال أو مقال، والله أعلم.

المبحث الرابع: الإخبار عنها، والحال ، ونعتها، ووقوعها عطف بيان

أولاً: الإخبار عنها والحال، ونعتها:

من يتأمل شواهد وصف المرأة في ديوان عمر فإنه يلمس مدى سعة ثقافة الشاعر اللغوية المتمثلة في غزارة أوصاف المرأة وتنوعها، وكثرة مترادفاتها، ويلحظ مدى براعة الشاعر النحوية المتمثلة في تنوع التراكيب، واختلاف الأساليب في جملته الشعرية.

وما يعنينا من ذلك موقف الشاعر من تأنيث وصف المرأة في ديوانه، فحقُّ المرأة تأنيث وصفها سواء أكان خبرًا، أم حالاً، أم نعتًا بإلحاق التاء به، أو تأنيث صيغته، فتقول في الإخبار عنها مثلاً: هندٌ صَائِمَةٌ قَائِمَةٌ، وهندٌ الصُّغْرى، وهندٌ سَوْدَاءُ الشَّعرِ.

وفي الحال مثلاً: مررْتُ بهندٍ صائمةً، وبهندٍ غَضْبى، وبهندٍ حمراءَ الوجهِ غضبًا، وتقول في النعت مثلاً: مررْتُ بامرأةٍ صَائِمَةٍ قَائِمَةٍ، ومررْتُ بامرأةٍ غَضْبى، وبامرأةٍ سَمْراءَ.

هذا إذا كان الوصف حقيقيًا – أي: رافعًا لضمير الموصوف – فإذا كان سببيّاً رافعًا للظاهر، كان حكمه حكم الفعل الواقع موقعه في التأنيث والتذكير؛ لأن الوصف في الحقيقة للاسم المرفوع الظاهر لا للموصوف[١] .

تقول: هندٌ صَائِمٌ أبوها، وسَاجِدَةٌ أمُها، ومررْتُ بامرأةٍ صَائِمٍ أبوها، وسَاجِدَةٍ أمُها، ومررْتُ بهندٍ صَائِمًا أبوها، وسَاجِدَةً أمُها.

---

(١) ينظر حكم المطابقة بين النعت والمنعوت في الجنس في شرح الجمل لابن عصفور ١٩٦/١-١٩٨، وشرح التسهيل لابن مالك ٣٠٧/٣، وتوضيح المقاصد ٩٠/٢-٩١، وينظر حكم المطابقة بين الخبر والمخبر عنه في أمالي ابن الشجري ١٦٢/٢-١٦٣، وشرح ألفية ابن معطي لابن القواس ٨٢٨/٢، وحكم المطابقة بين الحال وصاحبه في ذلك في حاشية الشيخ يس على شرح التصريح ٣٦٩/١

فتذكير الوصف (صائم) في الأمثلة؛ لتذكير الفاعل الظاهر (أبوها)، تأنيث (ساجدة)؛ لتأنيث الفاعل الظاهر (أمُّها) لا لتأنيث الموصوف (هند)؛ إذ المطابقة في الجنس في هذه الحال إنما هي بين الوصف وفاعله الظاهر، لا بين الوصف والموصوف.

هذا حقُّ المرأة في الوصف، والسؤال الطارح نفسه: هل أعطى الشاعر المرأة حَقّها في الوصف بتأنيثه تمييزًا له عن وصف الرجل في كل ديوانه أم فعل ذلك أحيانًا وأعرض عنه في أخرى؟

ما يلاحظه الناظر في الديوان وقوف الشاعر في وصف المرأة موقفًا متأرجحًا بين تأنيث وصفها وتركه، فتارة نجده حريصًا على تأنيثه وهو الأغلب، وأخرى لا نجده كذلك، وهذه الأخرى يُلاحَظ وقوع الوصف فيها مشتقًا في مواضع، وغير مشتق في أخرى.

ومن شواهد تأنيث وصف المرأة – وهو ما تستحق – وقد وقع نعتًا، قوله:

١- **وَقَالَتْ لِفَتَاةٍ عِنْدَهَا حَوْرَاءَ كَالرِّئْمِ** (١)

٢- **وَكَلِفْتُ مِنْهُنَّ الْغَدَاةَ بِغَادَةٍ مَجْدُولَةٍ جُدِلَتْ كَجَدْلِ عِنَانِ** (٢)

ومن شواهد تأنيث وصفها – وقد وقع خبرًا – قوله:

١- **حَوْرَاءُ مَمكُورَةُ السَّاقَيْنِ بَهْكَنَةٌ لاَ عَيْبَ فِي خَلْقِهَا طُولٌ وَلاَ قِصَرُ**

٢- **مَكِّيَّةٌ هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا نَسِيَ الْعَزَاءِ فَمَا لَهُ صَبْرُ** (٤)

والتقدير: هي حوراءُ، وهي مَكيّةٌ.

---

(١) البيت من الوافر المجزوء، ينظر الديوان ص ٢٤٤، وحَوْرَاءَ: شديدة سواد سواد العين، مع شدة بياض بياضها، والرِّئْم: ولد الظبية.

(٢) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ٢٦٢، والغَادَةِ: المرأة الناعمة، ومَجْدُولةٍ: غير مُترهّلة الجسم ولا بدينة.

(٣) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ١١٥، ومَمكُورَةُ السَّاقَيْنِ: مستديرتهما، وبَهْكَنَةٌ: غضّة.

(٤) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ١٤٩

ومن شواهد ذلك – وقد وقع حالاً – قوله:

١- وَأَنّهَـا حَلَفَـتْ بِـاللهِ جَاهِـدَةً وَمَا أَهَلّ لَهُ لحُجّاجُ وَاعتَمـرُوا [١]

٢- قَالَـتْ لِتِـرْبٍ لهَـا مُلاَطِفَـةً لَتُفْسِدِنّ الطّـوَافَ فـي عُمَـرِ [٢]

– أما مواضع تذكيره وصف المرأة المشتق فيمكن حصرها فيما يلي:

الموضع الأول: إذا كان على وزن يستوي فيه المذكر والمؤنث.

الموضع الثاني: إذا كان اسم تفضيل مجردًا من (أل) والإضافة، أو مضافًا إلى نكرة أو معرفة.

الموضع الثالث: إذا كان وصفًا مختصًا بالمرأة، أو غالبًا استعماله لها.

وأما مواضع تذكيره وصفها غير المشتق فيمكن إجمالها فيما يلي:

الموضع الأول: إذا كان مصدرًا.

الموضع الثاني: إذا كان اسم جنس.

الموضع الثالث: إذا كان (مثل) أو (غير).

وإليك البيان:

مواضع تذكيره وصف المرأة:

أولاً: المشتق:

الموضع الأول: إذا كان بزنة يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث.

وهذه الأوزان – كما صرح النحاة – هي: فَعُول بمعنى فَاعِل، وفَعِيْل بمعنى مَفْعُول، ومِفْعَال، ومِفْعِيل، ومِفْعَل[٣] ، وزاد الرضي: فَعَال، وفِعَـال [٤]، فوَصْـفُ المرأةِ إذا كان بزِنة أحدِها لم تلحقه التاء غالبًا، واختلفوا في تعليل ذلك، وأرجحهـا

---

(١) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ١١١

(٢) البيت من المنسرح، ينظر الديوان ص ١٣٧

(٣) ينظر الكتاب ٣/٦٣٩-٦٤٧، وأدب الكاتب لابن قتيبة ٢٩١-٢٩٣، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٤/١٧٣٨-١٧٤٠، والمساعد لابن عقيل ٣/٣٠٠-٣٠٢

(٤) ينظر شرح الكافية ٣/٣٣٢

عندي: تعليل ذلك بإرادة المبالغة في الوصف، يقول ابن جني: " لأجل ذلك ما قالوا: امرأةٌ صابرةٌ وغادرةٌ، فألحقوا عَلَم التأنيث، فإذا تناهوا في ذلك قالوا: صَبُور، وغَدُور، فذكّروا ".[١]

ومما قيل: إرادة معنى النسب؛ لعدم جريان الوصف على الفعل، فامرأة صَبُور، بمنزلة: امرأة صبريّة، أي: ذات صَبْر. وهو قول الخليل – رحمه الله –.[٢]

هذا عن حكم تأنيث الوصف إذا كان بأحد تلك الأوزان، وتعليل تذكيرها، فإذا نظرنا في ديوان عمر فإننا نجده لم يخرج عن نهج العرب في ذلك، فالمطرد في ديوانه تذكيرما جاء من وصف المرأة بأحدِ هذه الأوزان عدا شاهدٍ واحدٍ، وهو قوله: [٣]

بِبَيْضَةٍ كَمَهَاةِ الرَّمْلِ آنِسَةٍ مِفْتَانَةِ الدَّلِّ رَيَّا الْخَلْقِ كَالقَمَرِ

ففي البيت يُلاحظ تأنيثُ الشاعرِ وصف المرأة: (مِفْتَانَةِ)، وقد جاء بزنة (مِفْعَال)، ومما جاء من وصفها في الديوان بزنة (مِفْعَال) بلا تاء: مِكْسَالِ، ومِعْطَارِ، ومِبْشَارِ، ومن شواهده:

١- **وَغَضِيضِ الطَّرْفِ مِكْسَالِ الضُّحَى أحْوَرِ الْمُقْلَةِ كَالرِّيمِ الأَغَنْ** [٤]

٢- **آنِسَاتٍ مِثْلِ التَّمَاثِيلِ لُعْسًا مَعَ خَوْدٍ خَرِيدَةٍ مِعْطَارِ** [٥]

ومما جاء بزنة (فَعُول) بمعنى فَاعِل:

أَلُوف، وقَتُول، ونَؤُوم، وقَطُوف، ولَعُوب، ومن شواهده:

---

(١) الخصائص لابن جني ٢٤٣/٣

(٢) ينظر الكتاب ٣٨٤/٣ – ٣٨٥، وينظر شرح المفصل لابن يعيش ٥٢٠/٢ – ٥٢١

(٣) البيت من البسيط، ينظر الديوان ص ١٠٨، والمَهَاةِ: بقرة الوحش، ومِفْتَانَة: شديدة الفتنة، ورَيَّا الْخَلْق: ممتلئة اللحم.

(٤) البيت من الرمل، ينظر المصدر السابق ص ٢٦٨

(٥) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ١٢٦، ولُعْس: جمع لَعْسَاء وهي التي في شفتيها سواد، وخَوْد: ناعمة، والخَرِيدَة: البكر التي لم تمسّ.

١- شَبَّهْتُها مِنْ حُسْنِهاَ شَمْسَ الضُّحى وَهْيَ الْقَتُولُ وَدُمْيَـةَ الرُّهْبـانِ [١]

٢- نَؤُومُ الضُّحى مَمْكُورَةُ الْخَلْق غَادَةٌ هَضِيمُ الْحَشَا حُسَّانَةُ الْمُتَجَمِّـلِ [٢]

ومما جاء بزنة (فَعِيْل) بمعنى مَفْعُول قوله:

١- صَرِيعُ هَوًى ناءَتْ بِه شَاهِقِيَّةٌ هَضِيمُ الْحَشَى حُسَّانَةُ الْمُتَحَسِّرِ [٣]

٢- أَسِيلَ المُحَيَّا هَضِـيمَ الْحَشَـا كَشَمْسِ الضُّحى وُاضِحًا أَزْهَـرَا [٤]

و (هَضِيمُ الْحَشَا) بمعنى ضَامِر البطنِ، ويدل على أنه بمعنى (مَفْعُول) قولـه في موضع آخر:

مُبَتَّلَةٌ صَفْرَاءُ مَهْضُـومَة الْحَشَـا غَـذَاهَا سُـرُور دَائِـمٌ وَنَعِـيمُ [٥]

ومما جاء بزنة (فَعِيْل) بمعنى (مَفْعُول)، ولم يقع نعتًـا أو خبـرًا أو حـالاً (حبيب)، ومن شواهده:

١- حَتَّـى تَرَكْـتُ الْحَبِيـبَ وَامِقَنَـا يَنْتَابُنَـا مَاشِـيًا بِـه قَدَمُـهْ [٦]

٢- قُلْـتُ لَمَّـا لَقِيتُهَـا مَرْحَبًـا بِالْمُجَانِـبِ

أَنْعَـمَ اللهُ بِالْحَبِيـبِ الْقَرِيـبِ الْمُعَاتِـبِ [٧]

---

(١) البيت من الكامل، ينظر الديوان ص ٢٦٤

(٢) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٣٦١، ومَمْكُورَةُ الْخَلْـق: ممتلئـة، وهَضِـيمُ الْحَشَا: ضامرة البطن، وحُسَّانَةُ: شديدة الحسن، والْمُتَجَمِّل: موضع التجمل

(٣) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٩٦، وشَاهِقِيَّة: منسوبة إلى الشـاهق وهـو أعلى الجبل، والمراد تشبيهها بالأروى في بعدها وامتناعها عنه.

(٤) البيت من المتقارب، ينظر المصدر السابق ص ١٣٩، وأَسِيلَ المُحَيَّا: ناعم الوجه، أَزْهَـرَ: أبيض.

(٥) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٢١٣، ومُبَتَّلَةٌ: تامة الخَلْـق، وصَـفْرَاءُ: أي تكون بهذا اللون وقت العشية.

(٦) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ٢٣٩، ووَامِقَنَا: محبًا لنا.

(٧) البيت من مجزوء الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٣٩٧

ومما جاء بزنة (فَعَال): ثَقَال، ورَدَاح، ونَوَار، وحَصَان، ومن شواهده:

١- وَإِذْ هِـيَ حَـوْرَاءُ رُعْبُوبَـةٌ ثَقَـالٌ مَتَـى مَـا تَقُـمْ تَنْبَتِـرْ [١]

٢- قَالَـتْ لآنِسَـةٍ رَدَاحٍ عِنْـدَهَا كَالرِّئْمِ فِي عَقْدِ الْكَثِيبِ الأَيْهَـمِ [٢]

ولم أقف على شواهد لوصف المرأة في الديوان على وزن فِعَال، أو مِفْعِيل، أو مِفْعَل.

الموضع الثاني: إذا كان اسم تفضيل مجردًا من (أل) والإضافة، أو مضافًا إلى نكرة، أو معرفة.

لم يُعط الشاعر المرأة حقها بتأنيث وصفها إذا كان اسم تفضيل باختلاف أنواعه، فالتزم تذكيره سواء في ذلك أكان مجردًا من (أل) والإضافة، أم كان مضافًا للنكرة أو للمعرفة.

والتزامه التذكير إذا كان من النوع الأول والثاني هو مذهب الجمهور [٣] خلافًا للفراء الذي نسب إليه أبو حيان إجازته التأنيث في النوع الثاني إذا كانت النكرة مُدناة من المعرفة بصلةٍ وإيضاح، نحو قولنا: هندٌ فُضلى امرأةٍ تقصدُنا، ودَعْدٌ خُورى إنسانةٍ تَلُمُّ بنا.[٤]

أما التزام الشاعر التذكير إذا كان من النوع الثالث فهو يخالف مذهب الجمهور القائلين بجواز تذكيره وتأنيثه، مع النص على أن الغالب هو التذكير[٥] ،

---

(١) البيت من المتقارب، ينظر المصدر السابق ص ١٦٨، ورُعْبُوبَةٌ: ناعمة، وثَقَالٌ: عظيمة الردفين، وتَنْبَتِرْ: تنقطع.

(٢) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ٢١٩، وآنِسَة: طيبة الحديث، والرَدَاحِ: المرأة الثقيلة، والأَيْهَمِ: المرتفع.

(٣) ينظر حكم (أفعل من) في التبصرة للصيمري ٢٣٧/١، والأصول لابن السراج ٧٦/٢، وشرح التسهيل لابن مالك٥٣/٣، والمساعد ١٦٧/٢-١٦٨، وينظر حكم المضاف إلى نكرة في شرح التسهيل لابن مالك ٦٢/٣، والارتشاف ١١١/٥، وشرح الأشموني على الألفية ٥٣/٢

(٤) ينظر الارتشاف ٢٣٢٣/٥

(٥) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ١٤٠/٣، وشرح التسهيل لابن مالك ٥٩/٣، والارتشاف ٢٣٢٥/٥، والمساعد ١٧٦/٢-١٧٧، وأوضح المسالك لابن هشام ٢٦٥/٣-٢٦٦

وشذّ عن مذهبهم ابن السراج الذي نصّ على وجوبه [١] ، ولعل التزامه التذكير في اسم التفضيل باختلاف أحواله؛ لأنه أخفُّ من التأنيث، و طلب الخفة – كما هو معلوم – مقصد من مقاصد العرب في كلامها، فقولنا مثلاً: هندٌ أفضلُ النساءِ، وخيرُهن، أخفّ – فيما أرى – من: فُضلى النساءِ، وخُوراهن.

وللنحاة في تعليل وجوب تذكيره إذا كان مجردًا من (أل) والإضافة، أو مضافًا إلى النكرة، وفي تعليل جواز تذكيره وتأنيثه إذا كان مضافًا إلى المعرفة أقوال عدة – ليس منها ما ذكرْتُ –

ومما قيل في تعليل وجوب تذكيره إذا كان (أَفْعَل مِنْ): أن (أَفْعَل) في هذه الحال بمنزلة الفعل والمصدر[٢] ، فقولنا مثلاً: هندٌ أفضلُ من دعدٍ، في تأويل: يزيدُ فضلُها على فضلِ دعد.

ومما قيل في تعليل ذلك إذا كان مضافًا إلى النكرة: الاستغناء عن تأنيثه بتأنيث المضاف إليه[٣] ، ومما قيل في تعليل جواز تذكيره وتأنيثه إذا كان مضافًا للمعرفة: مشابهته في حالة التذكير لـ (أَفْعَل مِنْ) في المعنى [٤] ، أو في اللفظ والمعنى، وذِكْر المفضول عليه بعده مجرورًا [٥]، أما التأنيث فلخلوه من لفظ (مِنْ) المانعة من التصرف [٦].

ومما جاء في الديوان من شواهد وصف المرأة بـ (أَفْعَل) مضافًا إلى المعرفة – وقد وقع خبرًا – قوله:

١- لاَ تُطِيعِي فَإِنّنِي لَمْ أُطِعْهُ أَنْتَ أَهْوَى الأحْبابِ وَالأجْوَارِ [٧]

---

(١) ينظر الارتشاف ٢٣٢٥/٥، والمساعد ١٧٧/٢، وأوضح المسالك ٢٦٦/٣

(٢) ينظر الأصول لابن السراج ٧/٢، والتبصرة للصيمري ٢٣٧/١، ٢٩٢

(٣) ينظر الأشباه والنظائر للسيوطي (مجلس الأخفش مع المازني) ٩٣/٥

(٤) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٥٩/٣

(٥) ينظر شرح الكافية للرضي ٤٥٨/٣

(٦) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٥٩/٣، وشرح الكافية للرضي ٤٥٨/٣

(٧) البيت من الخفيف، ينظر الديوان ص ١٢٨

٢- يَا رَبِّ إنّكَ قَدْ عَلِمْتَ بِأَنّهَا أَهْوَى عِبَادِكَ كُلِّهِمْ إنْسَانَا [١]

ومن شواهد ذلك – وقد وقع نعتًا – قوله:

كَيْفَ صَبْرِي عَنْ فَتَاةٍ أحْسَنِ النّاسِ لَعُوبِ [٢]

أما وصف المرأة بـ (أَفْعَل) مضافًا إلى النكرة، أو بـ (أَفْعَل مِنْ) فذلك مما يندر في ديوانه، وما وقفت عليه من شاهدٍ لوصفها بـ (أَفْعَل) مضافًا إلى النكرة، قوله[٣]:

حَلَفْتُ لَهَا بِرَبِّ مِنَي إذَا مَا تَغَيَّبَ فِي عَجَاجَتِهِمْ ثَبِيرُ

لأَنْتُمْ حَبُّ شَيْءٍ إنْ جَلَسْنَا وَإنْ زُرْنَا فَأَوْجَهُ مَنْ نَزُورُ

أي: أحبّ، وحَذَفَ الهمزة تخفيفًا.

وما وقفت عليه من شاهد وصفها بـ (أَفْعَل مِنْ) قوله:

١- أَنْتِ أَهْوَى إلَيّ مِنْ سَائِرِ النَّا سِ ذَرِينِي مِنْ كَثْرَةِ التّعْدَادِ [٤]

٢- أَنْتِ أَشْهَى إلَيَّ مِنْ صَوْبِ مُزْنِ السِّحَائِبِ [٥]

الموضع الثالث: إذا كان وصفًا مختصًا بالمؤنث، أو غالبًا استعماله للمؤنث.

اطراد في العربية ترك تأنيث وصف المرأة المختص بها، كـ (حائضٍ)، و(طَالق) إذا لم يُقصد معنى الفعل، وعلة ذلك عند الخليل -رحمه الله- حَمْلُه على معنى النسب، أي: ذات حَيضٍ، وذات طَلاقٍ، وعلته عند سيبويه -رحمه الله-:

---

(١) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ٢٥٨

(٢) البيت من الرمل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٤١٧

(٣) البيت من الوافر، ينظر المصدر السابق ص ١٥٦

(٤) البيت من الخفيف، ينظر الديوان ص ٣٠٥

(٥) البيت من مجزوء الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٣٩٧، وصَوْبِ المُزْنِ: مُنهمر ومنصبه.

الحمل على معنى شيء، أي: شيء حَائِض، وطَالِق[١] ، وعلة ذلك عند الكوفيين: اختصاصه بالمؤنث[٢] – وهو الأصح عندي – فقد أغنى اختصاص معناه بالمؤنث عن إلحاق التاء به؛ لعدم الحاجة فيه إلى التفريق بين المرأة والرجل.

ومما ورد في الديوان من أمثلة ذلك: كَاعِب، وهي الجارية التي برز نهدها، ومُعْصِر وهي: الجارية التي بلغَتْ سن الشباب، ومن شواهد الأول قوله:

١- دَخَلْتُ عَلَى خَوْفٍ فأَرَّقْتُ كَاعِبًا هَضِيمَ الْحَشَا رَيَّا الْعِظَامِ كَسُولاَ [٣]

٢- فَلَمَّا اكْفَهَرَّ اللَّيْلُ قَالَتْ لِخُرَّدٍ كَوَاعِبَ في رَيْطٍ وَعَصْبٍ مُسَهَّمِ [٤]

ومن شواهد الثاني:

تِرْبٌ لِهْنَدٍ غَادَةٌ تِلْكَ غَزَالٌ مُعْصِرُ [٥]

وقوله:

فَقَالَتْ لَهَا حُرَّةٌ عِنْدَهَا لَذِيذٌ مُقَبِّلُهَا مُعْصِرُ[٦]

وكما ورد في الديوان تذكير وصف المرأة المختص بزنة اسم الفاعل فقد ورد بغير زنته، مما يدل على عدم انحصار ترك تأنيث وصف المختص فيما كان بزنة اسم الفاعل في كلامهم، ومن أمثلة ذلك في ديوانه:

خَوْد، وهي: الجارية الناعمة، وقيل: الفتاة الحسنة الخَلْقَ الشابة، ورُؤْد وهي: الناعمة اللينة، وفُنُقَ وهي: العظيمة الحسناء، وقيل: المُنعَّمة، ومُسْلِف ونَصَف،

---

(١) ينظر كتاب سيبويه ٣/٣٨٣-٣٨٤، والإنصاف لأبي البركات الأنباري المسألة (١١١) ٢/٧٥٨

(٢) ينظر المذكر والمؤنث للفراء ٥٨-٥٩، والإنصاف لأبي البركات الأنباري ٢/٧٥٨

(٣) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٣٤٧

(٤) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٩٣، وخُرَّدٍ: جمع خَرِيدة وهي العذراء والرَيْطِ: جمع رَيْطة، وهي الملاءة، والعَصْبِ: بُرودٌ يمنيَّة يُعْصَبُ غزلها، أي: يُجمع ويُشدّ، ثم يُصبغ ويُنسجَ، وال مُسَهَّمِ: المخطط.

(٥) البيت من الرجز المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ١٦١

(٦) البيت من المتقارب، ينظر المصدر السابق ص ١٦٥

وهي: التي بلغَتْ خمسًا وأربعين ونحوهما، وخَرِيد، وهي: العذراء، ومن شواهد ذلك قوله:

١- يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ كَلِفٍ يَهْذِي بِخَوْدٍ مَرِيضَةِ النَّظَرِ [١]

٢- لَيَالِيَ إِذْ أَسْمَاءُ رُؤْدٌ كَأَنَّهَا خَلِيٌّ بِذِي المَسْرُوحِ أَدْمَاءُ مُتْبِعُ [٢]

٣- سَيْفَانَةٍ فُنُقٍ جُمٍّ مَرَافِقُهَا مِثْلِ الْمَهَاةِ تُرَاعِي نَاعِمَ الزَّهَرِ [٣]

٤- كَلِفْتُ بِهَا خَدَلَّجَةً خَرِيدًا مُنَعَّمَةً لهَا دَلٌّ رَخِيمُ [٤]

ووردَ تأنيثه (خَرِيد) على الأصل في شواهد منها قوله:[٥]

قَمَرَتْهُ فُؤَادَهُ أُخْتُ رِئْمٍ ذَاتُ دَلٍّ خَرِيدَةٌ مِعْطَارُ

ومثلُ الوصفِ المختصِ بالمرأة في ترك الشاعر تأنيثه غالبًا في ديوانه تركُه تأنيثَ ما كان استعماله غالبًا في وصف المرأة، نحو: بَادِن.

يقول ابن الأنباري: "وقولهم :رجلٌ بَادِنٌ، وامرأةٌ بَادِنٌ، لم يُدخلوا فيه الهاء؛ لأن المؤنث أغلب عليه فكان بمنزلة طَالِق وحَائِض".[٦]

ومن شواهد ذلك قوله:

١- بَادِنٌ تَجْلُو مُفَلَّجَةً عَذْبَةً غُرًّا لَهَا أَشَرُ[١]

---

(١) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ١٣٦، وخَوْد: ناعمة، ومَرِيضَةِ النّظَرِ: فاترة الطرف.

(٢) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٧٢، ورُؤْدٌ: أي شابة، والأدْمَاءُ: الظبية، والمُتْبِعُ: التي يتبعها ولدها.

(٣) البيت من البسيط، ينظر الديوان ص ١٠٩، وسَيْفَانة: طويلة، وفُنُق: ذات نعمة، وجُمٌّ: جمع أجم وهو الملآن.

(٤) البيت من الوافر، ينظر المصدر السابق ص ٢٤٨، والخَدَلَّجَةُ: الممتلئة الذراعين والساقين، والخَرِيد: البكر التي لم تمسّ، ودَلٌّ رَخِيمُ: حديث حسن.

(٥) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ١٢٤

(٦) المذكر والمؤنث ١٤٧

وقوله:

٢- بُـــدّنٍ فـــي خَدَالـــةٍ وَبَهَـــاءٍ طَيّبَـــاتِ الأعْطَـــافِ وَالأَرْدَانِ(٢)

و(بُدّن): جمع بَادِن.

ويبقى بعد هذا: الإشارةُ إلى ورود شواهدَ غير قليلة في الديوان يُلاحظ فيها تذكير الشاعر وصف المرأة، وهي

لا تندرج تحت ما تقدم من مواضع، وتقتضي فَضْل نَظَرٍ وتأمـلٍ لمحاولـة تفسيرِ علةِ تذكيرهِ وصفها مع ما نعرفه عنه من تقديره للمرأة، ويمكن تقسيم هـذه الشواهد بحسب ما وقفت عليه إلى أربع مجموعات:

ومن شواهد المجموعة الأولى:

١- قُمْـــنَ يُـــزْجِينَ غَـــزَالاً فَـــاتِرَ الطَّـــرْفِ رَخِيمـــاَ (٣)

٢- لَقَدْ سَاقَنِي حَيْنٌ إِلَى الشّادِنِ الّـذِي أَضَرّ بِنَفْسِي أَهْلُهُ حِـينَ هَجَّـرُوا (٤)

والشادن: ولد الظبي الذي قوي وترعرع، واستغنى عن أمه.

ومن شواهد المجموعة الثانية قوله:

١- أَنْعَـــمَ اللهُ بِالْحَبِيـــبِ الْقَرِيـــبِ الْمُعَاتِـــبِ

أَنْـــتِ أَشْـــهَى إِلَـــيَّ مِـــنْ صَـــوْبِ مُـــزْنِ السَّـــحَائِبِ (٥)

٢- لَـــيْتَ شِعْـــرِي هَـــلْ أَذُوقَـــنَّ رُضَـــابًـــا مِنْ حَـــبِـــيبِ

طَـــيِّبِ الرِّيـــقَـــةِ وَالـــنَكـــ ـــهَـــةِ كَالـــرَّاحِ الْقطِـــيـــبِ (١)

---

(١) البيت من المديد، ينظر المصدر السابق ص ١٥٢، والبَادِنٌ: السمينة، وتَجْلُو مُفَلّجَـةً: أي تصقل أسنانها، والأشَرُ: جرة ورقة في أطراف الأسنان.

(٢) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٢٨٢، والخَدَالةِ: امتلاء الذراعين والساقين، والأعْطَافِ: جمع عِطْف وهو: المَنْكِب، والإبط، وَالأَرْدَانِ: جمع رُدن وهو: أصل الكُم.

(٣) البيت من الرمل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٢٤١

(٤) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٥٧، وينظر ص ١٣٩، ١٥٢

(٥) البيت من مجزوء الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٣٩٧

ومن شواهد المجموعة الثالثة:

١- فَقُلْتُ: مَنْ ذَا المُحَيِّي؟ وَانتَبَهتُ أَمْ مَنْ مُحَدِّثُنَا هـذَا الَّـذِي زَارَا

قَالت: مُحِبٌّ رَمَـاهُ الْحُـبُّ آونَـةً وَهَيَّجَتْهُ دَوَاعِي الْحُبِّ إِذْ حَـارَا (٢)

٢- فَقَالَـتْ: كَـرِيمٌ أَتَـى زَائِـرًا يَمُـرُّ بِكُـمْ هَكَـذَا جَانِبـاَ

لِحُبِّـكِ أَحْبَبْـتُ مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ صَـفِيًا لِنَفْسِـي وَلاَ صـاَحِباَ (٣)

أما المجموعة الرابعة فشواهدها قوله:

١- لاَ تَرْحَلِينِي بِذَنْبٍ أَنْتِ صَـاحِبُهُ وَصَادِقِينِي صَفَاء الْوُدِّ وَاسْتَمِعِي (٤)

٢- لاَ يُرْغِمِ اللهُ أَنْفًا أَنْـتِ حَامِلُـهُ بَلْ أَنْفُ شَانِيكَ فِيماَ سَرَّكُمْ رَغِماَ (٥)

ويمكن تعليل تذكير أوصاف المرأة في المجموعة الأولى وهي:

(فاتر الطرف) و (رخيمًا) في البيت الأول، والاسم الموصول (الـذي) فـي البيت الثاني بمراعاة الشاعر تذكيراسم الجنس (غزال)، و (شَادِن) اللـذين شُـبهت بهما المرأة المحذوفة الموصوفة في الحقيقة.

أما المجموعة الثانية فعلة تذكير الشاعر وصف المرأة فيها – فيما يبـدو – مراعاة لفظ المرأة الموصوفة وهي: (حبيب) – في البيتين – التي جـاءت بزنـة (فَعِيْل) بمعنى (مَفْعُول) بلا تاء، و(فَعِيْل) هذه – كما تقدم – يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث غالبًا في كلامهم، فالشاعر اتبع ما غلب في كلام العرب، وذكّر ما

---

(١) البيت من الرمل المجزوء، ينظر الديوان ص ٤١٦، والرُضَاب: ماء الفم، والرَّاح: الخمـر، والْقطِيب: الممزوجة.

(٢) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ١١٤

(٣) البيت من المتقارب، ينظر المصدر السابق ص ٤٣٠

(٤) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ١٨٣

(٥) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ٢٢٩، وشَانِيكَ: أي مبغضك وأصله: شـانئك، ورَغِم: ألصق بالتراب.

تبعه من أوصاف واستعمال الشاعر (حبيب) موضع (حبيبة) يشيع في ديوانه[١] ، ولم يستعمل (حبيب)بالتاء إلا في موضعٍ واحد [٢].

هذا عن علة التذكير في المجموعة الأولى والثانية.

أما المجموعة الثالثة فالظَنّ أن علة تذكيره وصف المرأة فيها، وهما: (مُحبٌ)، و (كريمٌ) حملهما على معنى (شخص)، ويُعضِّد ذلك تصريحه به مريدًا به المرأة في قوله:

شَخْصٌ غَضِيضُ الطّرْفِ مُضْطَمِرُ الْحَشَا عَبْلُ الْمُدَمْلَجِ مُشْبَعٌ خَلْخَالُهُ [٣]

والمقصود به: الحبيبة، ويمكن تعليل تذكير (مُحبّ) أيضًا بما أشار إليه ابن قتيبة من وقوعه بلا تاء للرجل والمرأة في كلامهم.[٤]

وأما المجموعة الرابعة فلعل علة تذكيره وصف المرأة فيها: أمن اللبس في تحديد جنس الخبر المؤنث؛ لدلالة المبتدأ (أنتِ) عليه، فضلاً عن أنه أَخَفُّ من التأنيث؛ فـ (صاحبُه) و (حاملُه) – أخفّ من: (صَاحِبْتُه) و (حَامِلْتُه) فيما يبدو، والله أعلم.

---

(١) المصدر السابق ص مثلاً: ١٤٠، ١٥٦، ١٦٠، ١٩٨

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٩

(٣) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ٣٥٧، وغضيض الطرف: مُنكسره، ومضطمر الحشا: ضامر البطن، وعَبْلُ: ضخم، والمُدملج: موضع لبس الدملج، وهو حلي يلبس في المعصم، ومُشبع خلخاله: أي سمين موضع الخلخال.

(٤) ينظر أدب الكاتب ٢٩٦

ثانيًا: غير المشتق:

ويشمل المواضع التالية:

الأول: إذا كان مصدرًا.

الثاني: إذا كان اسم جنس.

الثالث: إذا كان (مثل) أو (غير).

وسوف أَعرضُ لها مجتمعة؛ لعدم الحاجة إلى إفراد كلٍ منها بحديثٍ مستقلٍ وإليك البيان:

كثر في ديوان الشاعر وصف المرأة بالجامد كالمصدر، واسم الجنس، ومثل، وغير، ولجمود هذه الأنواع فقد بقيت على صورتها في وصف المرأة بها في شعره، ولم تتغير، فالجامد في العربية – كما هو معلوم – لا تلحقه التاء إن كان خاليًا منها في أصل وضعه، وإن كان بالتاء فلا تُحذَف منه، وسُمِعَ تأنيث المصدر في أمثلة قليلة ،وهي قولهم: امرأةٌ عَدْلَةٌ، وخَصْمَةٌ، وضَيْفةٌ [(١)]، ولا يُقاس على ذلك عند الجمهور [(٢)]، وهو غير قبيح عند ابن جني؛ لِمَا فيه من التنبيه على أصل التفريق بين وصف المذكر والمؤنث، وإن كان التذكير والإفراد أقوى – كما صرح –؛ للمبالغة في الوصف حيث قال: "ألا ترى أنك إذا أنّثْتَ وجمعتَ سلكْتَ به مذهب الصفة الحقيقية التي لا معنى للمبالغة فيها، نحو: قَائِمةٍ ومُنْطَلِقَةٍ، وضَارِبَاتٍ ومُكرماتٍ، فكان ذلك يكون نقضًا للغرض، أو كالنقض له، فلذلك قَلّ حتى وقع الاعتذار لما جاء منه مؤنثًا ومجموعًا" [(٣)].

---

(١) ينظر الخصائص لابن جني ٢٠٥/٢، وشرح الجمل لابن عصفور ١٩٩/١

(٢) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٣١٥/٣، وشرح الكافية للرضي ٢٩٥/٢، وشرح الأشموني على الألفية ٦٨/٢، وينظر مذهب الجمهور في قياس وقوع المصدر حالاً في أوضح المسالك لابن هشام ٣٠٨/٢، وشرح الأشموني على الألفية ٤١٥/١

(٣) الخصائص ٢٠٧/٢

وليس لأحدٍ ادعاء عدم إنصاف الشاعر للمرأة لتركه إلحاق التاء بما وقع من مصدرٍ وصفًا لها؛ فعلة بقاء المصدر على صورته في ديوانه -كما ذكرنا من قبل- جموده في الأصل، وتأنيثُه خروجٌ على ذلك الأصل، ونقضٌ لغرض المبالغة من الوصف به.

ومما ورد من شواهد وصف المرأة بالمصدر في الديوان – وقد وقع خبرًا – قوله:

١- فَهْيَ شِفَائِي إِذَا مَا كُنْتُ ذَا سَقَمٍ وَهْيَ دَوَائِي إِذَا مَا الدَّاءُ يُضْنِينِي [١]

٢- وَأَنْتِ هَمِّيَ فِي أَهْلِي وَفِي وَفِي الْجُلُوسِ وَفِي الرُّكْبَانِ إِنْ رَكِبُوا

٣- وَأَنْتِ قُرَّةُ عَيْنِي إِنْ نَوًى نَزَحَتْ وَمُنْيَتِي وَإِلَيْكِ الشَّوْقُ وَالطَّرَبُ [٢]

ومن شواهد ذلك – وقد وقع حالاً – قوله:

١- حَرَّكَتْنِي ثُمَّ قَالَتْ جَزَعًا وَدُمُوعُ الْعَيْنِ مِنْهَا تَبْتَدِرْ [٣]

٢- فَتَبَسَّمَتْ عَجَبًا وَقَالَتْ: حَقُّهُ أَنْ لاَ يُعَلِّمَنَا بِمَا لَمْ نَعْلَمِ [٤]

وخرّج النحاة ما جاء من شواهد الوصف بالمصدر على تأويله بمُشْتقٍ، أو على حَذَفِ مضافٍ، أو تقدير وقوعه كذلك على سبيل المبالغة[٥] ، وقد أشار إلى الأخير ابن جني فيما سبق، وهو الأصح عندي.

ومما ورد من شواهد وصف المرأة باسم الجنس قوله:

١- هِيَ الشَمْسُ تَسْرِي عَلَى بَغْلَةٍ وَمَا خِلْتُ شمْسًا بِلَيْلٍ تَسِيرُ [٦]

---

(١) البيت من البسيط، ينظر الديوان ص ٢٧٩

(٢) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ٤١٠

(٣) البيت من الرمل، ينظر المصدر السابق ص ١٤١

(٤) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ٢١٩

(٥) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ١٩٨/٢، وشرح الكافية للرضي ٢٩٥/٢، والارتشاف ١٩١٩/٤، والمساعد ٤١١/٢

(٦) البيت من المتقارب، ينظر الديوان ص ١٢٣

٢- فِـــيهِمْ مَهَـــاةٌ كَاعِـــبٌ كَأَنَمـــــا هِـــــي قَمَـــــرُ [١]

٣- إِذَا احْتَفَلَتْ عُثَيْمَةُ قُلْتُ شَـمْسٌ وَإِنْ عَطِلَتْ عُثَيْمَةُ قُلْـتُ رِيـمُ [٢]

وقد أُوِّلَ وقوع اسم الجنس وصفًا على تقديره بمُشْتَقٍ، أو تقدير (مِثْل) مضافًا إليه على إرادة التشبيه، أو تنزيل الموصوف منزلة اسم الجنس مبالغة دون التفات إلى التشبيه.[٣]

ومما جاء في الديوان من شواهد وصف المرأة بـ (مِثْل) قوله:

١- مُثْقَلَاتٌ يُـزْجِينَ بَـدْرَ سُـعُودٍ وَهْيَ فِي الصُّبْحِ مِثْلُ شَمْسِ النهـارِ

٢- مِـنْ هَـوَى خَـوْدٍ لَعُـوبٍ غَـادَةٍ مِثْـلِ الْهِـلَالِ [٥]

ومما جاء من شواهد وصفها بـ (غير):

١- حَدِّثِينِي وَأَنْـتِ غَيْـرُ كَـذُوبِ أَتُحِبِّينَنِـي؟ جُعِلْـتُ فِـدَاكِ [٦]

٢- وَقَوْلُهَا لِفَتَـاةٍ غَيْـرِ فَاحِشَـةٍ أَرَائِحٌ مُمْسِـيًا أَمْ بَـاكِرٌ عُمَـرُ [٧]

ثانيًا: وقوعها عطف بيانٍ، وبدلًا:

تعددت في الديوان شواهد وقوع المرأة عطف بيان، وقد التزم الشاعر في جميعها إعطاء المرأة حقّها بتحقيق المطابقة بين عطف البيان وبين المبين في

---

(١) البيت من الرجز المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ١٦٣

(٢) البيت من الوافر، ينظر الديوان ص ٢٤٩، احْتَفَلَتْ: تزينَتْ، وعَطِلَتْ: لم تلبس حُليها، والرِيمُ: ولد الظبية.

(٣) ينظر شرح الكافية الشافية لابن مالك ١/٣٤٠-٣٤١

(٤) البيت من الخفيف، ينظر الديوان ص ١٢٧

(٥) البيت من الرمل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٣٤٠، والخَـوْد: الناعمة، لَعُـوب: حسنة الدّل.

(٦) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٤٦٤

(٧) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٠٦، وغَيْرِ فَاحِشَة: ليست بخيلة.

التأنيث، والتزامه ذلك يتفق مع مذهب الجمهور القائلين بوجوب المطابقة بين عطف البيان والمعطوف عليه في التذكير والتأنيث.(١)

ومما يلاحظ في تلك الشواهد إمكان إعراب عطف البيان فيها بدل كل من كل؛ لتوافر شرطي ذلك، وهما: صحة الاستغناء عنه بالأول، وصحة إحلاله محله.(٢)

ومما جاء من شواهد ذلك في الديوان قوله:

١- إذْ فُؤَادِي بِزَيْنَبٍ أمِّ يَعْلَى مُوَكَّلُ (٣)

٢- ثمَّ صَدَّتْ بِوَجْهِهَا عَمْدَ عَيْنٍ زَيْنَبٌ لِلْقَضَاءِ أمُّ الحُبَابِ (٤)

٣- لَمَّا الْتَقَيْنَا رَحَّبَتْ تِرْبُهَا هِنْدٌ وَقَالَتْ: قُلَّبًا حُوَّلاَ (٥)

ولم أقف على شواهد لتوكيد المرأة في ديوانه توكيدًا لفظيًا أو معنويًا.

ونخلص مما تقدم في هذا المبحث إلى ما يلي:

١- حرص الشاعر على إعطاء المرأة حقّها في الوصف غالبًا، بتأنيث وصفها سواء أكان خبرًا، أم حالاً، أم نعتًا مما يدل على تقديره لها واحترامه، فلم يترك تأنيثها غالبًا إلا في مواضع التزمت العربية فيها بترك التأنيث أو غلب فيها ذلك، ومن أمثلة الأول: الوصف بالمصدر، واسم الجنس، و(أَفْعَل مِنْ)، و (أَفْعَل) مضافًا إلى النكرة.

---

(١) ينظر شرح الكافية الشافية لابن مالك ١١٩٣/٣، وشرح التسهيل ٣٢٦/٣، والمساعد لابن عقيل ٤٢٣/٢، وأوضح المسالك لابن هشام ٣١٠/٣

(٢) ينظر أوضح المسالك لابن هشام ٣١١/٣، والهمع ١٩٣/٥، وشرح الأشموني على الألفية ٩٤/٢

(٣) البيت من الخفيف المجزوء، ينظر الديوان ص ٣٣٣

(٤) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٤١٣

(٥) البيت من السريع، ينظر الديوان ص ٣٤١، والقُلّب: الذي يتقلب ويتغير من حال إلى حال، وحُوَّل: الذي يتحول من ودّ إلى ودّ.

ومن الثاني: الوصف بما كان بزنة (فَعُول) بمعنى (فَاعِل)، ومِفْعَال، ومِفْعَل، وليس للشاعر أن يخرج على طرائق العرب في كلامها، فينتهج نهجًا لم يألفوه.

٢- لا سبيل لادعاء ظلم الشاعر للمرأة، أو انتقاصه من شأنها، لِمَا وقع من تذكير وصفها في كثير من الشواهد في ديوانه، فذلك له علله، وأسراره. ومن تلك العلل: إرادة المبالغة في الوصف، وطلب الخفة، وجمود الوصف، والحمل على المعنى.

٣- كما وقع في العربية وفي الديوان تذكير وصف المرأة، وقع في كلامهم أيضًا تأنيث وصف الرجل، ومن أمثلة ذلك قولهم: رجلٌ عَلاَّمة، ونَسَّابه، ودَاهِية، وطَاغِية، وهُمَزة، ولُمَزة، وتُكَلَة، وقُدْوة، وصِغْرَةُ ولدِ أبيهِ، وكَبْرَتُهم، وعَيْمَةُ قومِه.[1]، ولم يقل أحدٌ بأن في ذلك ظلمًا للرجل، أو تحقيرًا لشأنه.

(١) ينظر الفصيح لثعلب ٣٠٨ – ٣٠٩، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٥٦٧ – ٥٨٩، وشرح وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١٧٣٦/٤، وصِغرة ولد أبيه وكِبرتهم: أصغرهم وأكبرهم، وعَيمة قومه: خيارهم.

المبحث الخامس: إسناد الفعل إليها

حقُّ المرأة في الجملة الفعلية إن أُسند الفعل إليها فوقعَتْ فاعلاً، أو نائب فاعل تأنيثُ فعلِها بإلحاق التاء الساكنة بفعلها إذا كان ماضياً، وأن تسبقه التاء المتحركة إذا كان مضارعاً؛ للتفرقة بين فعلها وفعل الرجل في الجملة باختلافِ أنواع ذلك الفاعل، وأحواله، وعدده، وقد نبّه إلى هذه العلة سيبويه – رحمه الله – فقال: "وكذلك: قالَتْ جاريتاك، وجاءَتْ نساؤُك... أدخلوا التاء؛ ليفصلوا بين التأنيث والتذكير"(١).

فمقتضى العدل والإنصاف للمرأة تأنيث فعلها سواء في ذلك أكانت اسمًا ظاهرًا أم ضميرًا مستترًا، وسواء أكانت متصلةً بالفعل أم منفصلةً، مفردةً كانَتْ أم مثناةً أو مجموعةً. تقول: حافظَتْ المسلمةُ على حجابِها، وتزينَتْ بحيائِها، وحافظَتْ على حجابِها المسلمةُ، وحافظَتْ المُسْلمتَانِ على حجابِهما، وحافظَتْ المُسلمَاتُ، وحافظَتْ الفَواطِمُ على حجابِهن.

ونحن إن نظرنا في ديوان عمر فإننا لا نجده يحرِص على ذلك في كل الأحوال، ففي أحوالٍ نجده بَالِغَ الحرصِ على إعطاءِ المرأةِ حقّها بتأنيث فعلها، وفي أخرى نجده يُؤنثُ فعلها تارةً، ويُذكِّره كفِعْلِ الرُجلِ تارةً أخرى، وفي ثالثة نجده يلتزم التذكير.

الحالة الأولى: التزامه تأنيث فعلها.

مما يلاحظ في الديوان التزام الشاعر تأنيثِ فعلِ المرأة وقد وقعت مفردةً أو مثناةً، في ثلاثِة مواضع:

الأول: وقوعها متصلة بالفعل.

الثاني: وقوعها منفصلة عنه بفاصل غير (إلا).

الثالث: وقوعها ضميرًا مستترًا في فعلها، أو – كما عبّر بعضهم – ضميرًا متصلاً.

---

(١) الكتاب ٢/٣٧

وإليك تفصيل ذلك:

الموضع الأول: وقوعها متصلة بالفعل:

اطّرد في ديوان عمر تأنيث فعل المرأة، وقد وقعت فاعلاً ظاهرًا متصلاً بالفعل، وبلغَتْ شواهد ذلك ثمانية وخمسين شاهدًا، واطّرادُ ذلك في الديوان يتفق مع مذهب جمهور النحاة القائلين بوجوب تأنيث فعل المؤنث الحقيقي الظاهر إذا كان متصلاً بفعله(١)، وحكى سيبويه تذكيره في قول بعضهم: "قالَ فلانةٌ" (٢)؛ اكتفاءً بتأنيث المرأة الظاهر عن تأنيث الفعل (١٦٨)، ولا ينقاس خلافاً للأخفش والرمّاني فقد نسب إليهما أبو حيان جواز ذلك، وما نصّ عليه الأخفش في (معاني القرآن) قُبحَ تذكيرِ فعلِ المرأة مع الفصل بينها وبين الفعل (٣)، ومُقتضى ذلك – فيما يبدو – منعُه تذكير فعلها مع الاتصال من باب أولى لا الجواز كما نُسِب إليه، ولم أقف على مذهب الرمّاني في شرحه للكتاب.

ومن شواهد تأنيث فعل المرأة وقد جاءت مُتصلة بالفعل في ديوان عمر ما يلي:

١- قَالَتْ قُرَيْبَةُ لَمَّا طَالَ بِي سَقَمِي ... وأنكَرَتْ بِي انْتِقَاصَ السِّمْعِ

٢- فَقَالَتْ فَتَاة كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهَا ... مُغَفَّلَة فِي مِئْزَرٍ لَمْ تَدَرَّعِ(٥)

٣- يا قَلْبُ أَخْبِرْنِي وفي النَّأْيِ رَاحَةٌ ... إذَا مَا نَوَتْ هِنْدٌ نَوًى كَيْفَ تَصْنَعُ(٦)

---

(١) ينظر الكتاب ٣٧/٢، والمقتضب ٣٤٨/٣، ١٤٦/٢، والتبصرة ٦٢٢/٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٦١٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٠٤/٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٩٢/٢، والارتشاف ٧٣٤/٢

(٢) ينظر الكتاب ٣٨/٢

(٣) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢٦١/١-٢٦٢

(٤) البيت من البسيط، ينظر الديوان ص ١٠٩

(٥) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٧٦

(٦) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٧٧

٤- بَانَتْ سُلَيْمي وَقَدْ كَانَتْ تُؤَاتِيني إنَّ الأحَادِيثَ تَأْتِيهَا وَتَأْتِينِي(١)

٥- كُلَّمَا قُلْتُ: مَتَى مِيعَادُنَا؟ ضَحِكَتْ هِنْدٌ وقَالَتْ: بَعْدَ غَدْ(٢)

الموضع الثاني: وقوعها منفصلةً عنه بفاصلٍ غير (إلا):

كما اطرّد في ديوان عمر تأنيثُ فعلِ المرأةِ مُتصلةً بفعلها اطرّد أيضًا تأنيثُ فعلِها وقد فُصِلَتْ عنه بغير (إلا)، وبلغَتْ شواهد ذلك في الديوان ثلاثة وأربعين شاهدًا يُلاحظ فيها التزامُ الشاعرِ تأنيث فعلِ المرأةِ سواء طال الفصل بينها وبين الفعل أم قصر، وهذا مما يستوقف النظر لإلزام الشاعر نفسه بما لم ينصّ النحاة على وجوب لزومه، فمذهب الجمهور من البصريين والكوفيين خلافًا للمبرد جواز تأنيث فعل المؤنث الحقيقي الظاهر وتذكيره إذا فُصل بينه وبين فعله بغير (إلا)(٣)، أما المبرد فقد قصر جواز التذكير على الشعر للضرورة(٤)، والأجود عند الجمهور تأنيث الفعل(٥)، وكلما طال الفصل كان التذكير أجود (٦)؛ لأنه يكون عوضًا عن حذف التاء، وكأنه شيءُ يصير بدلاً من شيء(٧)، يقول ابن يعيش: "حَسُنَ تركُ العلامةِ؛ لأن الفاصلَ سَدّ مسدّ عَلَم التأنيثِ مع الاعتماد، وعلى دلالة الفاعل على التأنيث" (٨).

---

(١) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ٢٧٩، وتُواتيني: تسعفني

(٢) البيت من الرمل، ينظر المصدر السابق ص ٣١٥

(٣) ينظر الكتاب ٣٨/٢، ومعاني القرآن للفراء ٣٠٨/٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٦١٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٠٤/٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٩٢/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١١٢/٢، والمساعد ٣٩٠/١

(٤) ينظر المقتضب ٣٤٩/٣

(٥) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ٥٠٥/٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٩٢/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١١٤/٢، وشرح الكافية للرضي٣٤١/٣، والارتشاف ٧٣٤/٢

(٦) ينظر الكتاب ٣٨/٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٩٢/٢

(٧) ينظر الكتاب ٣٨/٢

(٨) شرح المفصل لابن يعيش ٥٠٤/٢

ووقوعُ التذكيرِ في فعل المرأة أقلُّ من وقوعه في فعل المؤنث الحقيقي من الحيوان – كما ذكر سيبويه – لِما للمرأة من مزية العقل والعلم، وأسبقية الخلق كالرجل على غير الأدميين من الحيوان (١).

ومن شواهد تأنيث فعل المرأة في ديوان عمر – وقد طال الفصل – ما يلي:

١- صَرَمَتْنِي – واللهِ – فِي غِيْرِ ... رَبِّ مُوسَى أمِيرَةُ القَلْبِ ظُلْمَا(٢)

٢- تَقُولُ غَدَاةَ الْتَقَيْنَا الرِّبَا ... بُ: يَاذَا أفَلْتَ أُفُولَ السِّمَاكِ(٣)

٣- تَلُومُكَ فِي الْهَوَى نُعْمٌ ... وَلَيْسَ لهَا بِهِ عِلْمْ(٤)

٤- لَمْ تُعَانِقْ رَجُلاً فِيمَا مَضَى ... طَفْلَةٌ غَيْدَاءُ فِي حُلَّتِهَا(٥)

٥- ثمَّ صَدَّتْ بِوَجْهِهَا عَمْدَ عَيْنٍ ... زَيْنَبٌ لِلْقَضَاءِ أمُّ الحُبَابِ(٦)

ومن شواهد تأنيث فعلها- وقد قَصُر الفصل:

١- ضَنَّتْ بِنائِلِهاَ هِنْدٌ فَقَدْ تَرَكَتْ ... من غَيْرِ هِنْدٍ أَبَا الْخَطَّابِ مُخْتَلَجَا (٧)

٢- لَقَدْ أَرْسَلَتْ في السِّرِّ لَيْلَى تَلُومُنِي ... وتَزْعُمُنِي ذَا مَلَّةٍ طَرِفاً جَلْدَا (٨)

---

(١) ينظر الكتاب ٣٩/٢، وشرح الكتاب للسيرافي ٣٧٠/٢

(٢) البيت من الخفيف، ينظر الديوان ص ٢٣٠، وصَرَمَتْنِي: قطعتني.

(٣) البيت من المتقارب، ينظر المصدر السابق ص ٣٩٠، أَفَلْتَ: أَفَل النجم: غاب، والسِّماكِ: أحد كوكبين لامعين يقال لأحدهما السماك الرامح، وللأخر السماك الأعزل.

(٤) البيت من الوافر، ينظر المصدر السابق ص ٢٥٢

(٥) البيت من الرمل، ينظر المصدر السابق ٤٧٩، وطَفْلَةٌ: رَخْصة البنان، وغَيْدَاءُ: المرأة المتثنية من اللين، أو الناعمة.

(٦) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٤١٣

(٧) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ٤٦١، ومُخْتَلَجَا: من اختلج في صدره هَمٌّ إذا اشغَله.

(٨) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٣٠٦، المَلَّةِ: الملال والسأم، والطَرِف: الذي يطلب الجديد من المودة.

٣- فَجَاوَبَتْهَا حَصَانٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ بِرَجْعِ قَوْلٍ وأمْرٍ لم يكُنْ خَطِلاَ [١]

٤- قالَتْ لَهُنَّ فَتَاةٌ كُنْتُ أحْسِبُهَا غَرِيرَةً بِرَجِيعِ القَوْلِ واللعِبِ [٢]

٥- أفْرَغَتْ فِيهِ الثُّرَيَّا مِنْ ذَرَى الدَّلْوِ سَكُوبَا [٣]

الموضع الثالث: وقوعها ضميرًا مستترًا في فعلها، أو – كما عبّر ابن مالك – ضميرًا متصلاً:

كثر في الديوان وقوع المرأة الفاعل ضميرًا مستترًا، وفي كل شواهد ذلك يُلاحَظُ التزامُ الشاعرِ تأنيثَ فعلِها، وشواهد ذلك أكثر من أن تحصى.

والتزام تأنيث فعلها في هذه الحال مذهب جمهور النحاة، يقول ابن مالك [٤]:

وإنما تلزم فِعلَ مُضمرِ مُتصل أو مُفْهِمٍ ذاتَ حِرِ

ومن شواهد التأنيث في الديوان ما يلي:

١- ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لك نافعٌ ولا نأيُهاَ يُسْلي ولا أنْتَ تَصْبِرُ [٥]

٢- فقالَتْ: نَعَمْ لا شكَّ غيَّر لونَهُ سُرى اللَّيل يُحْيى نَصَّهُ والتَّهجُّرُ [٦]

٣- تقولُ إذْ أيقنَتْ أنِّي مُفارقُها: يا ليتني مُتُّ قبلَ اليومِ يا عُمَرُ [٧]

---

(١) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ٣٥٣، الحَصَان: المرأة العفيفة، وخَطِل: أي خاطئ.

(٢) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ٤٢٠، والغَرِيرَة: الصغيرة.

(٣) البيت من الرمل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٤٣١، ذَرَى الدَّلْو: جانبه أو أعلاه.

(٤) شرح ابن عقيل ٤٣٢/١، وينظر التبصرة للصيمري ٦٢٢/٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٩٢/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ١١١/٢، والمساعد لابن عقيل ٣٨٨/١

(٥) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٨٤، نأيُهاَ: النأي هو البعد، ويُسْلي: يورث السلو والنسيان.

(٦) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٨٦، النَصَّ: السير الشديد، والتَّهجُّرُ: السير في وقت الهاجرة.

(٧) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ١١٥

٤- فَتَبسَّمَتْ عَجَباً وقالَتْ: حَقهُ أنْ لا يُعَلِّمَنا بما لمْ نَعْلَمِ [١]

٥- أرادَتْ فلم تسطعْ كلامًا فأومأَتْ إليَّ ولمْ تأمنْ رسولاً فَتُرسِلاَ [٢]

الحالة الثانية: التزام تذكير فعلها، وذلك في موضعين:

<u>الموضع الأول:</u> وقوعها مفصولة عن فعلها بـ (إلا):

لم أقف في الديوان إلا على شاهدٍ واحد وقعت المرأةُ فيه فاعلاً مفصولاً عن فعلها بـ (إلا)، وقد التزم الشاعر فيه تذكير فعلها، فجاءَ الفعلُ بلا تاء، وهذا الشاهد قوله[٣]:

لم يَرُعْني إلا الفتاةُ وإلا دمعُها في الرداءِ سَحّا سَنِينَا

وتذكير الشاعر فعل المرأة في البيت يتفق مع مذهب جمهور النحاة، فقد نُسِبَ إليهم القول بوجوب تذكير الفعل في هذه الحال [٤]؛ "لأن ما بعد (إلا) ليس الفاعل في الحقيقة، وإنما هو بدل من فاعل مُقدّر قبل (إلا)، وذلك المقدر هو المستثنى منه، وهو مذكر" [٥]. والتقدير في بيت عمر – على قولهم – لم يَرُعني أحدٌ إلا الفتاةٌ.

وظاهر مذهب الفراء، وتابعه بعض المتأخرين جواز تأنيث الفعل وتذكيره في هذه الحال [٦]، والتذكير عندهم أجود [٧]، ومما جاء من شواهد التأنيث في كلام العرب قول الشاعر[٨]:

---

(١) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ٢١٩

(٢) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٣٤٤

(٣) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٢٩٢، وسحا أي: انهمر وانسكب، وسَنِينَا: متفرق

(٤) ينظر شرح ابن عقيل للألفية ٤٣٣/١، وشرح الأشموني على الألفية ٣٠٩/١

(٥) شرح قطر الندى لابن هشام ١٨٢

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٥/٣، وشرح التسهيل لابن مالك ١١٤/٢، وشرح الكافية للرضي ٣٤١/٣، والمساعد ٣٩١/١

(٧) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ١١٤/٢، وشرح الكافية للرضي ٣٤١/٣، والمساعد ٣٩٠/١

(٨) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ١١٥/٢، وأوضح المسالك ١٠٢/٢، والمساعد ٣٩٠/١، والهمع ٦٦/٦

مـــا برئَـــتْ مـــن رِيبـــةٍ وذمٍّ فـــي حربِنـــا إلا بنـــاتُ العـــمِّ

ومذهب الفراء عندي أرجح لأمرين: أحدهما: لِما ورد من شـاهد التأنيـث المتقدم فضلاً عن شواهد أُخر وقع الفاعل فيها مؤنثًا مجازيًا [(١)]، والثاني: أن فـي تأنيث فعل المرأة في هذه الحالة معنى – في ظني – لا يكون في حال تذكيره، وإن كان المعنى في حال التذكير أبلغ؛ ففيه من المبالغة في تخصيص وقوع الفعل مـن المرأة الفاعل ما لا يكون في حال التأنيث؛ فمن أراد تخصيص وقوع الفعـل مـن المرأة وحدها دون بقية أفراد جنسها من النساء أَنَّثَ الفعل، ومـن أراد تخصـيص وقوعه منها دون بقية أفراد الجنس من الرجال والنساء بل وسائر الأحياء من غير الادميين ذكّره، فالتقدير في قولنا مثلاً: ما قامَتْ إلا هندْ: ما قامَتْ النسـاءُ، وفـي قولنا: ما قامَ إلا هندٌ: ما قامَ أحدٌ.

والشاعر في البيت المتقدم ذكّر الفعل – فيما يبدو –لأنه أراد تأكيد اقتصـار روعه وخوفه من الفتاة وحدها ولا أحد سواها.

<u>الموضع الثاني:</u> وقوعها فاعلاً لفعل التعجب (أفْعِل به)، ولفعل المدح (حَبّذا):

لم يخرج الشاعر على نهج العربية في استعماله أسلوب التعجب (أفْعِل بـه)، وأسلوب المدح (حَبّذا) مع المرأة، فقد التزم ما التزمه العرب من ترك تأنيثهما مـع المؤنث، ولعل علة ترك تأنيث فعل التعجب (أفْعِل به) الذي جاء على صورة الأمر، وهو خبر في المعنى عند جمهور البصريين [(٢)] هي: وروده بلفظ الأمـر لا بلفـظ الماضي.

وقد تكون علة ترك تأنيث فعل المدح (حبَّذا) هي علـة التـزام تـذكير (ذا) وإفرادها التي صرح بها النحاة، وهي أنه كلام جرى مجرى المثـل، والأمثـال لا تغير [(٣)].

---

(١) ينظر شرح ابن عقيل للألفية ٤٣٣/١، وأوضح المسالك لابـن هشـام ١٠٣/٢، وشـرح الأشموني على الألفية ٣٠٩/١

(٢) ينظر الارتشاف ٢٠٦٦/٤، والساعد ١٤٩/٢-١٥٠، والهمع ٥٧/٥

(٣) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٢٢/٣، وأوضح المسالك لابن هشام ٢٥٥/٣، والمسـاعد ١٤١/٢،

ومن شواهد وقوع المرأة فاعلاً لـــ (أفْعِل) في الديوان قوله:

١- ويَفُوزُ مَنْ هي فـــي الشـــتاءِ أَكْرِمْ بِها دُون اللحـــافِ شِـــعَارَا [١]

٢- لقد أرسلَتْ نُعْمٌ إلينا أَنْ ائتِنـــا فَأَحْبِبْ بها من مُرسِلٍ مُتَغَضِّـــبِ [٢]

ومن شواهد وقوعها فاعلاً لـــ (حبذا) قوله:

١- حَبَّذا أَنْتِ يـــا بُغُـــومُ وأســـما ءُ وعِـــيْصٌ يَكُنُّـــا وخـــلاَءُ [٣]

٢- ألا حَبَّـــذا حَبَّـــذا حَبَّـــذا حَبِيـــبٌ تَحَمَّلْـــتُ مِنـــهُ الأَذى [٤]

الحالة الثالثة: تأنيثه فعلها وتذكيره: وذلك في موضعٍ واحدٍ، وهو:

وقوعها مجموعة:

لم يقفِ الشاعر من المرأة وفعلها إذا كانت مجموعةً [٥] ظـــاهرةً بـــاختلاف أنواع جمعها موقفه منها إذا كانت مفردةً ومثناةً في حال وقوعها متصـــلة بفعلهـــا، أو منفصلة عنه بغير (إلا)، أو وقوعها ضميرًا مستترًا، فهو فـــي حـــال إفرادهـــا وتثنيتها فيما تقدم من أحوال التزم تأنيث فعلها، بينما نجده في حال جمعها يُؤنّـــثُ فعلها تارةً، ويُذكِّره تارةً أخرى غير آبهٍ بحقيقة جنس أفرادها، وهو في ذلـــك لـــم يُفرّق بين جمعها جمع سلامة، وبين جمعها جمع تكسير، أو اسم جمع.

وعدد شواهد وقوعها مجموعةً جمع سلامة في الديوان ثلاثة شـــواهد، أُنـــثَ فعلها في أحدها، وذكَّره في اثنين منها، ويلاحظ وقوعها منفصلة في شاهد التأنيث، ومتصلة في شاهدِ التذكير.

---

(١) البيت من الكامل، ينظر الديوان ص ١٢١، والشِعَارَ: ما تحت الدثار من اللباس، وهو مـــا ولي الجسد من الثياب.

(٢) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٤١٨، وانظر ص ٤١٥

(٣) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٤٧٦

(٤) البيت من المتقارب، ينظر المصدر السابق ص ٤٨٤

(٥) عدلت عن استعمال مصطلح (جمع الإناث) إلى (جمع المرأة)، أو (المرأة مجموعة)؛ ليشمل كل أنواع الجمع لجنس المرأة سواء أكان جمع سلامة، أم تكسير، أو اسم جمع.

وشاهد التأنيث قوله [١]:

وكُنْتَ تَبُوعًا لِلهَوى مُصْحِبًا لَهُ إذا أعجبَتْكَ الآنِسَاتُ النَّواعِمُ

وشاهدا التذكير قوله [٢]:

بَكَر العَاذِلاتُ فيها صِراحَا بِسَوَادٍ وما انتظَرْنَ صَبَاحا

وقوله [٣]:

وآلَتْ كما آل المُجَرِّبُ بَعْدَ مَا صحوْتُ ومَلَّ العَاذِلاتُ مِنَ العَذلِ

كما بلغ عدد شواهد وقوعها مجموعةً جمع تكسير أحدَ عشرَ شاهدًا، حظيت بتأنيث فعلها في أربعة شواهد، وذُكِّرت في ستة منها، يُلاحظ فيها وقوعها متصلة بفعلها أحيانًا، ومنفصلة عنه في أخرى في كلتا الحالتين، وشواهُد التأنيث قوله:

١- **تُكَلِّفُ أفْرَاسَ الصِّبَا تَعَبًا لَهُ ولَسْتَ تُبَالِي أنْ تلومَ اللَّوائمُ** [٤]

٢- **فبدَتْ ترائبُ شادنٍ ومُكَرَّسٌ فيه عِقَاصُهْ** [٥]

٣- **رأيْنَ الغواني الشيبَ لاحَ فأعرضْنَ عَنّي بالخُدُودِ النَّواضِرِ** [٦]

٤- **لعلي سَتُنْبِيني الجواري مَنْ التي رأَتْ عندها قلبي فلم تتألمِ** [٧]

---

(١) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٢٠٢، وتبوعًا للهوى: أي كثير الاتباع له، ومُصحبًا: أي منقاداً ذليلاً.

(٢) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٣٨٢، صِرَاحا: أي: لبنًا خالصًا مما يْشوبه، وبسَوادِ: أي في الليل.

(٣) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٣٢٨

(٤) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٢٠٢، وأفراس الصبا: دواعي الصبابة.

(٥) البيت من الكامل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٤٦٢، والترائبُ: موضع القلادة من الصدر، والشادنِ: ولد الظبي إذا كبروا استغنى عن أمه، ومكَرَّس: يقال: نَظْم مُكرسّ: أي بعضه فوق بعضٍ، وعِقَاصُهْ: جمع عَقِيصة، وهي الخُصْلة، أو الضفيرة.

(٦) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٤٨٥، والبيت شاهد لتأنيث الفعل على تقدير نون النسوة في (رأيْنَ) علامة دالة على جمع الإناث وليس ضميرًا في موضع رفع فاعل..

(٧) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٩٢، وستنبيني: أصله ستنبئني ثم قلبت الهمزة ياء لانكسار ما قبلها.

أما شواهد تذكير فعلها فقوله:

١- فتـــــــولّى نَـــــــوَاعِمٌ مُـــــــثْقَلاتُ الحقائِـــــــبِ [١]

٢- وتـــولَّى نـــواعِمٌ خَفِـــراتٌ يَتهـــادِيْنَ كالظِّبـــاَءِ السَّـــوارِي [٢]

٣- هَـــاجَ الفُـــؤَادَ ظعـــائِنٌ وبالجِزعِ مِن أعلـــى الحَجـــونِ [٣]

٤- ألا هـــل هاجَـــك الأظعـــا نُ إذْ جـــاوزن مُطَّلَحَـــا [٤]

٥- فلما تواقفَنـــا تَحيَّـــر حولهـــا نواعمُ كالغِزلانِ بيضَ السوالفِ [٥]

٦- هَيَّجنيِ البُـدَّنُ المِـلاَحُ فمـا أنفـكَ بـينَ الحِسَـانِ أقْتصِـرُ [٦]

أما شواهد وقوعها اسم جمع فقد بلغت ستة، تساوت في العدد شواهدُ تأنيثِ فعلِها وتذكيرِهِ، فقد نَالَتْ المرأةُ حقّها من التأنيث في ثلاثة، وذُكّرَتْ في ثلاثة.

وشواهد التأنيث ما يلي:

١- بألذّ مِنـكِ وإنْ نأيْـتِ وقَلَّمَـا تَرعى النِّسَـاءُ أَمانَـةَ الغُيَّـابِ [٧]

٢- أعاليَ تصطادُ الفُؤادَ نِسَـاؤُهُمْ بعيني خَذُول مُؤْنِق الجمّ مُطْفِـلِ [٨]

---

(١) البيت من مجزوء الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٣٧٧، ومُثقلات الحقائب: كناية عن أنهن عظيمات الأرداف.

(٢) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ١٢٧، وخفرات: جمع خَفِرة وهي الشديدة الحياء.

(٣) البيت من الكامل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٢٧٣، والظعائن: جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج، والجِزع: منعطف الوادي، والحجون: جبل بأعلى مكة.

(٤) البيت من الوافر المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٤٥٤، ومُطَّلَحَا: موضع

(٥) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٣٨٩، تواقفَنا: وقف كل منا لآخر، والسوالفِ: جمع سالفة وهي صفحة العنق.

(٦) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ٤٧٤

(٧) البيت من الكامل، ينظر الديوان ص ٤٢٧

(٨) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٣٦٠، الخذول: الظبية المنقطعة عن أمثالها، ومُونق: مُعجب، ومُطْفِلِ: ذات طفل.

٣- تُكنّنُهـــا نِســـوانُها ويلـــومُني صِحابي وكُلٌ ما استطاعَ مُعَوِّقُ [١]

وشواهد التذكير قوله:

١- نُعِتَ النساءُ فقلْتُ لستُ بمُبصرِ شَبَهاً لهـــا أبـــداً ولا بمُقَـــرِّبِ [٢]

٢- لم تبلُغِ البابَ حتى قالَ نِسوتُها من شدّة البُهرِ هذا الجَهْدُ فاتَّئِدَا [٣]

٣- خُلْتِ دونَ الفؤادِ والتذَّكِ القلبُ وخَلّى لـــكِ النِّســـاءُ الوِصَـــالا [٤]

وما وقع من الشاعر من تسوية بين جمع المرأة جمع ســـلامة، وبـــين بقيـــة الجموع في حكم تأنيث الفعل يُخَالفُ مذهب جمهور البصريين، ويُوَافِـــقُ مـــذهب الكوفيين والفارسي، فمذهب البصريين التفريق بينهما، فقالوا بوجوب تأنيـــثِ فعـــلِ جمعِ المؤنث السالم؛ لسلامة لفظ مفرده في الجمع، وجواز تأنيث فعل جمع التكسير، واسم الجمع مراعاة لمعنى الجماعة، والتذكير مراعاة لمعنى الجمع [٥].

أما الكوفيون والفارسي فالمذهب عندهم عدم التفريق بين جمع المؤنث جمـــع سلامة وبقية الجموع، فيجوز تأنيث فعله عندهم وتذكيره؛ مراعاة للمعنى قياساً على تلك الجموع، ولِمَا جاء من السماع بالتذكير في كلامهم، والقـــرآن الكـــريم، ومـــن شواهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ ﴿الممتحنة:١٠﴾ وقولـــه: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ ﴿الممتحنة:١٢﴾

---

(١) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٤٤٨، وتكننها: يخفينها ويحجبنها، ومعُـوِّق: شـديد المنع من اللقاء.

(٢) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ٤١١

(٣) البيت من البسيط، ينظر المصدر السابق ص ٣١١، البُهر: تتابع الـــنَفسَ وانقطاعـــه مـــن الإعياء، واتئدا: تمهلا.

(٤) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٣٥٥

(٥) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ٣٩٣/٢، والارتشاف لأبي حيان ٧٣٤/٢، ٧٣٨، وأوضح المسالك لابن هشام ١٠٤/٢

ومن شواهده في كلامهم قول عبدة بن الطبيب [١]:

فبكى بنـــاتي شـــجوهنَّ وزوجتـــي والظـــاعنون إلـــيّ ثـــم تصـــدّعوا

وردّ البصريون الاحتجاج بالآيتين بأن التذكير فيهما لِمَا بين الفعل والجمع من الفصل بالمفعول، ولاحتمال تقدير (أل) في (المؤمناتُ) موصولة بمعنى (اللاتـــي) وهي اسم جمع، أو أنّ الأصل: النساءُ المؤمناتُ، ثم حُذِفَ الموصوف وهـــو اســـم الجمع، ورُدّ البيت بأن (بناتي) لم يَسْلَم فيه لفظ الواحد. [٢]

وقد يُقال في تعليل تذكير فعل جمع المؤنث في بيتي عمر ما قيـــل فـــي ردّ الآيتين، ولا أرى داعياً للردّ وتكلف التأويل مع ورود شواهد عدة فـــي كلامهـــم لا يتسع المقام لذكرها [٣].

هذا ما كان من صنيع الشاعر مع فِعْل المرأة إذا كانت جمعًا ظـــاهرًا فـــإذا نظرنا في موقفه من فعلها إذا كانت ضميرًا عائدًا على هذا الجمع باختلاف أنـــواع تلك الجموع فإننا نلاحظ تَرْكَ الشاعر تأنيث فعلها بالتـــاء ســـواء أكـــان ماضـــيًا أم مضارعًا، فهو في أغلب شواهد ذلك في ديوانه يلتزم إعادة ضمير نون الإنـــاث على تلك الجموع، وكأنه استغنى بتأنيث الضمير عن تأنيث الفعل بالتاء.

وما وقع من الشاعر هو أحد الوجهين الجائزين عند النحاة في ضمير تلـــك الجموع، فقد قالوا بجواز تأنيث فعلها بإعادة ضمير المؤنثة الغائبة عليها؛ لطـــرآنِ معنى الجماعة على اللفظ، وجواز إعادة ضمير نون الإناث؛ مراعاة للفظ [٤]، تقول: الهنداتُ قامَتْ وقُمْنَ، والهنودُ قامَتْ وقُمْنَ، والنِسْوةُ قامَتْ وقُمْنَ.

---

(١) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ١١٣/٢، وأوضح المسالك ١٠٤/٢، وشرح الاشموني على الألفية.

(٢) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ١١٣/٢-١١٤، وأوضح المسالك ١٠٦/٢

(٣) من ذلك قول أبي عطاء السندي:

عشيةَ قامَ النائحاتُ وشُقِّقتْ جُيُوبٌ بأيدي مَأْتَمٍ وخُدُودُ (ينظر شرح الجمل لابـــن عصـــفور ٣٩٤/٢)، وقول جرير:

يقولُ العاذلاتُ: علاكَ شَيْبٌ أهذا الشّيبُ يمنعُني مِراحي (ينظر شرح ديوان جرير ص ١٠٨)

(٤) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ٥٢٥/٢، وشرح الجمل لابـــن عصـــفور ٣٩٥/٢-٣٩٦، وشرح الكافية للرضي٣٤٤/٣

ومما ورد في ديوان الشاعر من شواهد إعادة ضمير نون الإناث على جمع المرأة جمع سلامة قوله [١]:

وآلَتْ كَما آلــى المُجَــرِّبُ بعــدما صحوْتُ ومَلَّ العَاذِلاتُ مــن العــذلِ

وأبْدَيْتُ عِصــياناً لهُــنَّ سَــبَبْتَني وألْقَيْنَ مِنْ يأسٍ على غَارِ بي حَبْلي

وقوله [٢]:

قالَــتْ لِقَيْنَــاتٍ يَطُفْــنَ بِهَــا حَــوْلي ودَمْعِــي دَائِــمٌ سَــبَلُهْ

ومما ورد من إعادته النون على جمعها جمع تكسير قوله [٣]:

وتَــــولّى نَــــوَاعِمٌ خَفِــــرَاتٌ يَتَهَــادَيْنَ كالظِّبــاءِ السَّــوَارِي

وقوله [٤]:

إنَّ العَــوَاذِلَ قَــدْ بكَــرْنَ يَلُمْنَنِــي وَحَسِبْتُ أكثَــرَ لَــوْمِهِنَّ ضِــرَارَا

ومما ورد من إعادته النون على اسم جمعها قوله [٥]:

وتَــــرَى النِّسْــــوَانَ إنْ قَــــا مَــــتْ وإنْ قُمْــــنَ خُشُــــوعَا

وقوله [٦]:

وغَضِيضِ الطَّرْفِ مِكْسَالِ الضُّــحَى أحْــوَرِ المُقْلَــةِ كــالرِّيمِ الأَغَــنْ

---

(١) البيت من الطويل، ينظر الديوان ص ٣٢٨، سَبَبْتَني: شتمتني، والغَارِب: أعلى مُقدّم السّنام، وإذا أهمل البعير طُرح حبله على سَنامه، وتُرِك يذهب حيث شاء، واستعير هذا الكلام – كما قيل – لمن تُرِكَ وشأنه يتصرف كيف شاء.

(٢) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ٣٥٨، والقَيْنَات: جمع قَيْنَة وهي الأَمَة.

(٣) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ١٢٧

(٤) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ١٣٦

(٥) البيت من الرمل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ١٨٩

(٦) البيت من الرمل، ينظر المصدر السابق ص ٢٦٨، وغَضِيضِ الطَّرْفِ: فاتر الجفن، مِكْسَالِ الضُّحَى: والمِكْسَال: التي لا تكاد تبرح مَجْلِسها، وهو مدح لها مثل (نئوم الضحى)، وأحْــوَرِ المُقْلَةِ: الحور: شدة بياض بياضها، وشدة سواد سوادها، والرِّيم: الظبي، والأَغَــنْ: أي ذو غنة، والغنة صوت يخرج من الخيشوم.

مَـــرَّ بِـــي فـــي نَفَـــرٍ يحْفُفْنَـــهُ مِثْلمَـــا حَـــفَّ النّصَـــارَى بـــالوَثَنْ

ومن غير الغالب في ديوانه إعادته ضمير جمع الذكور (واو الجماعة) على هذا الجمع، وما وقفت عليه من شاهد إعادته الواو علـــى جمـــع التكســـير للمـــرأة قوله(١):

وقَالَتْ لأَتْرَابٍ لهَا حِـينَ عَرِّجُـوا عَلَـيّ قَلِـيلاً: إنَّ ذَا بِـيَ يَسْـخَرُ

وشاهد إعادته الواو على اسم جمعها قوله (٢):

قَوْلُ نِـسْوَانِهَا إذَا حَفَـلَ النِّـسْـ وَانُ فـي مَجْلِـسٍ وقَـلّ الإمَـارُ

إنَّهـا عَفَّـةٌ عَـنِ الخُلُـقِ الْـوَا ضِعِ والطُّعْمَـةِ التـي هـي عَـارُ

نَعَتُوهَـا فَأَحْسَـنوا النَّعْـتَ حتَّـى كِدْتُ مِنْ حُسْـنِ نَعْـتِهِمْ أسْـتَطَارُ

ومما تقدم نخلص إلى ما يلي:

أولاً: احترام الشاعر للمرأة إذا كانت فاعلاً ظـاهرًا سـواء كانـت مفـردة أم مثناة (٣)، وتجلّى ذلك في حفاظه على حقوقها في الجملة الفعلية بالتزامه تأنيـث فعلها في جميع المواضع في ديوانه سواء كانت مضمرة فـي الفعـل، أم ظـاهرة متصلة بالفعل أو منفصلة عنه بغير (إلا)، وذلك فيما يبدو يكشف مدى حبه للمرأة، وتقديره لها ولأنوثتها، وإدراكه الواعي لتميزها عن الرجل الذي اقتضـى حفاظـه على التفرقة بينهما حتى مع الفصل بينها وبين الفعل المبيح ترك التأنيث عند النحاة، بل والتزامه ذلك مع طول الفصل الذي يجعل ترك التأنيث عندهم أجمـل، ولعـل التزامه ذلك؛ لأن المرأة الفاعل في تلك الحال غالبًا ما كانت في شعره الحبيبة التي

---

(١) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ١٥٨، وعرّج عليه: عَطَف، والتعريج علـى الشيء: الإقامة عليه.

(٢) البيت من الخفيف، ينظر الديوان ص ١٢٥، والإمَارُ: مصدر بمعنى المؤامرة، وأسْـتَطَارُ: أُذعر، وأفزع.

(٣) لم أقف إلا على شاهد واحد لوقوعه مثناة وهو قوله: فَقَامَتْ إليها حُرَّتَانِ عَلَيْهِما كِسَـا آنِ مِنْ خَزٍّ دِمَقْسٌ وأَخْضَرُ، الديوان ص ٩١

شُغِف بها حبًا، أو كانت أخت الحبيبة، أو صويحبة الحبيبة، أو رسولها، وحقُّ الحبيبة التي تضجُّ أنوثة رعاية أنوثتها بتأنيث فعلها، وكذا كل من لها صلة بهذه الحبيبة فلها من الحق، لأجلها ما لها.

وليس لأحدٍ أن يعترض على ما تقدم من موقف عمر فيما ظَهَر لي بما وقع من تذكيره فعلها في شاهدٍ واحد وقعت فيه مفصولة عنه بـ (إلا)، فذلك التذكير فضلاً عن موافقته مذهب الجمهور القائلين بوجوب تذكير الفعل في هذه الحال، فإنه يدل على معنى لا يدل عليه التأنيث – كما ذكرت من قبل – وهو الدلالة على اقتصار وقوع الفعل من المرأة وحدها دون أي أحد من الجنسين، بل ومن سائر الأحياء، فهو أبلغ من التأنيث وأقوى دلالة على تخصيص الفعل بالمرأة.

ثانيًا: لم يُعن الشاعر بالتزام تأنيث فعل المرأة مجموعةً باختلاف أنواع جمعها، فتارةً أنَّث فعلها، وأخرى ذكّره غير مُكترثٍ بحقيقة تأنيث أفراد هذه الجموع، بل ولا ببقاء لفظ مفردها في جمع السلامة الذي لأجله أجمع جمهور البصرة على لزوم تأنيث فعله، ولعل ذلك يرجع إلى أمرين:

أحدها: غياب صورة الحبيبة أو عدم وضوح صورتها حين تكون ضمن هذه الجموع، ومنها جمع السلامة، وبغيابها لا يصير تأنيث الفعل لازماً، فوجودها الحسي الظاهر مفردةً يستدعي التأنيث إجلالاً لها وتقديرًا لأنوثتها، وعدم وجودها لا يجعله لازمًا.

والثاني: جريًا على سَنَن العرب في معاملتهم جمع التكسير، واسم الجمع واسم الجنس معاملة المؤنث المجازي بتأنيث فعلها؛ مراعاة لمعنى الجماعة، وتذكيره؛ مراعاة لمعنى الجمع، ومثلها في ذلك جمع السلامة بنوعيه عند الكوفيين، وجمع المؤنث وحده عند الفارسي.

فالشاعر في عدم التزامه التأنيث لم يخرج عن سَنَن العرب في كلامها، وفي ظني أن تأنيثه فعل المرأة (مجموعة) لم يكن فحسب ؛مراعاة لطران معنى الجماعة على هذه الجموع كما قال النحاة، وإنما أيضًا مراعاة لحقيقة جنس كل فرد من

أفرادها، فلعل الشاعر في تأنيثه الفعل يريد لَفْتَ الانتباه إلى إرادته إسناد الفعل إلى كل واحدة من أفراد الجمع، وفي التذكير إرادته إسناد الفعل إلى مجموع أفرادهن، أي: إلى الجمع كله دون اكتراث بحقيقة تأنيث أفراده، وليس بغريب ففي الجمع تختفي ملامح الأفراد، وتتبدى صورة الجمع التي تتزاحم فيه صور الأفراد، وتطغى صورته على كل الصور.

ثالثًا: التزام الشاعر ترك تأنيث فعل المرأة إذا كان الفعل فعل المدح (حَبّذا)، أو التعجب (أفْعِل به) جريًا على سَنَن العرب في استعمالهما؛ فليس للشاعر أن يخرج على طرائق العرب في كلامها، وكذا التزامه ذلك في حال الفصل بينها وبين فعلها بـ (إلا)، وهذا لم يرد له إلا شاهد واحد في ديوانه، وعلة ذلك – فيما ظهر لي – قصد المبالغة في المعنى، لدلالة التذكير على عموم الفاعل المحذوف، والله أعلم.

المبحث السادس: نداؤها

ليس في النداء تفريق بين المرأة والرجل في الأحكام، فهما سواء في الأحكام الإعرابية المتعلقة بالمنادى وتابعه، وغير ذلك عدا النداء بـ (أي) ففيه يفترقان؛ ويُفْرق بينهما بتأنيث (أي) بإلحاق التاء بها في نداء المرأة[١] ، تقول: يا أيَّتُها المسلمةُ حافظي على حيائك، فالحياءُ شُعبةٌ من شعبِ الإيمان، ولا يقال: يا أيها.

ومما يلفت الانتباه في الديوان نداء الشاعر حبيبته بـ (أيها) بلا تأنيث (أي)، وما تلاها من تابعٍ مُتكِلاً على القرائن اللفظية والمعنوية في بعض الشواهد، أو على المعنوية وحدها في أخرى في الدلالة على إرادة المرأة بخطابه.

ومما ورد من شواهد ذلك – وقد جمع فيها بين القرائن اللفظية والمعنوية – قوله[٢] :

أَيُّهَا الْعَاتِبُ الَّذِي رَامَ هَجْرِي ... وَابْتَدَانِي بِهَجْرِهِ وَالتَّجَنِّي

أَبِعِلْمٍ أَتَيْتَ مَا جِئْتَ مِنِّى ... عَمْرَكَ اللهَ سَادِرًا أَمْ بِظَنِّ

وَلَوَ أَنَّ الَّذِي عَرَضْتِ عَلَيْنَا ... كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِكُمْ لَمْ يَرُعْنِي

أنتِ كُنْتِ الْمُنى وَرُؤيَتُكِ الْخُلْـ ... ـدَ فَقَرِّي عَيْنًا بِهِ وَاطْمَئِنِّي

ففي الأبيات نلاحظ اجتماع القرائن اللفظية والمعنوية، فأما اللفظية فتتمثل في توالي الضمائر المؤنثة للمخاطبة في البيت الثالث والرابع، وهي: الضمير المتصل (تاء الفاعل) المكسورة في: (عَرَضْتِ)، و(كُنْتِ)، والضمير المنفصل (أنتِ)، وياء المخاطبة في (قَرِّي)، و (اطْمَئِنِّي)، وأما المعنوية فتتمثل في دلالات الأبيات التي تدور حول عتاب الحبيبة، وما بَدَرَ منها من هَجرٍ وصدودٍ وتَجنٍ، وقد كانت قبل ذلك للشاعر غاية المنى، وكانت رؤيتها الخلد.

---

(١) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٣/٣٩٩، والارتشاف لأبي حيان ٤/٢١٩٦

(٢) البيت من الخفيف، ينظر الديوان ص ٢٦٩، وابْتَدَانِي: ابتدأني بالهمز ثم قلبت الهمزة ألفًا، وسَادِرًا: السادر: الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي بما صنع، ولَمْ يَرُعْنِي: لم يخفني.

فهذا الخطاب من الشاعر بما جاء في طياته من مضامين لا يمكن أن يتصور أن المقصود به رجل لا امرأة.

ومما ورد في الديوان من شواهد اكتفائه بالقرائن المعنوية في الدلالة على إرادة المرأة بالنداء بـ (أيها)، قوله[1] :

أيُّهَا الْعَاتِبُ الذِي رَامَ هَجْرِي ... وَبِعَادِي وَمَا عَلِمْتُ بِذَاكَا

قُلْتَ: أنْتَ الْمَلُولُ في غَيْرِ شَيْءٍ ... بِئْسَ مَا قُلْتَ، لَيْسَ ذَاكَ كَذَاكَا

زَعَمُوا أنّنِي بِغَيْرِكَ صَبٌّ ... جَعَلَ اللهُ مَنْ أحِبُّ فِدَاكا

فَلَوَ أنَّ الذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ ... خُيِّرَ النّاسَ وَاحِدًا مَا عَدَاكَا

وَأرْضَ عَنِّي جُعِلْتُ أفْدِيكَ؛ إنِّي ... وَالْعَزِيزِ الْجَلِيلِ أهْوَى رِضَاكَا

فالأبيات – كما يُلاحظ – خَلَتْ من أي قرينة لفظية دالة على إرادة المرأة بالنداء، استغناءً بما تضمنته من معانٍ في الدلالة على ذلك، ولعل تذكير الشاعر نداءها فضلاً عما تقدم من أمن اللبس في تحديد المراد بالنداء بما اكتنف السياق من قرائن إرادة الشاعر تشبيهها بالرجل؛ لِمَا بَدَرَ منها من قسوةٍ وجفاءٍ وصدودٍ لا تتناسب مع ما عُهِد في المرأة من رهافةِ حسٍ، ورقةٍ ومودة.

ويمكن تخريج ترك الشاعر تأنيث (أي) في ندائه للمرأة، وما تلاها من أوصاف بالحمل لها على معنى (الشخص)، أو (الحبيب) الذي يستوي المذكر والمؤنث في الوصف به، والتقدير في الشاهدين: أيها الشخص العاتب أو الحبيب.

(١) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ٣٩١– ٣٩٢، وصَبٌّ: عاشق لها.

المبحث السابع: عددها:

حقُّ المرأة في العدد تمييزها عن الرجل بتأنيث عددها إذا لم يكن العدد مما لزم صورة واحدة في العربية.

ومقتضى ذلك تأنيث عددها إذا كان من واحد إلى عشرة، سواء كان مفردًا، أم مركبًا، أم معطوفًا، أما ألفاظ العقود، ومائة، وألف فحقها أن تبقى على صورتها لا تتغير؛ لجمودها في كلام العرب.

ولأن اللغة – كما نعلم – لا تخضع لمنطق العقل فإننا نجد العرب مع التزامهم التفريق بين الجنسين في الأعداد من واحد إلى عشرة، لكننا نجد ذلك التفريق بإلحاق التاء بعدد المؤنث – وهو حقها – ونزعه من عدد المذكر ليس مطردًا مع كل الأعداد، فمنها ما الُتزِم فيه ذلك، وهو العدد: واحد واثنان[١]، وهما لا يقعان إلا متأخرين عن معدودهما، تقول: جاءَ رجلٌ واحدٌ، وامرأةٌ واحدةٌ، وجاءَ رجلان اثنان، وامرأتان اثنتان.

ومنها ما لم يُلتزم فيه، وهي: الأعداد من ثلاثة إلى عشرة، ففي هذه الأعداد نجد التفريق بينهما – إنْ تقدم العدد – بمخالفة العدد للمعدود في التذكير والتأنيث[٢]، فالمؤنث يُذكَّر عدده، والمذكر عددُه يُؤنث، ومقتضى الإنصاف للمذكر والمؤنث عامة، وللرجل والمرأة خاصة: إعطاءُ عددِ كلٍ منهما حقّه الذي يقتضيه جنسه، فنقول مثلاً: جاءَتْ ثلاثةُ نساءٍ، وثلاثُ رجالٍ، ولا نقول: ثلاثُ نساءٍ، وثلاثةُ رجالٍ كما جاء مطرداً في كلامهم.

وللنحاة في تعليل مخالفة هذه الأعداد للمعدود تأنيثًا وتذكيرًا آراء شتى، منها:

١- إرادة الاعتدال في الكلام بعدم الجمع بين ثقيلين، وهو رأي أبي حاتم السجستاني – فالمؤنث – كما قال – أثقل من المذكر فحذفت التاء من عدده ليكون

---

(١) ينظر شرح قطر الندى لابن هشام ٣١٠

(٢) ينظر الكتاب ٥٥٧/٣، والمقتضب ١٥٥/٢، وشرح الألفية لابن الناظم ٧٢٦، وشرح الكافية للرضي٢٩١/٣، والارتشاف ٧٥١/٢

خفيف مع ثقيل، وأما المذكر فخفيف فأدخلوا الهاء في عدده؛ ليكون ثقيل مع خفيف فيعتدل[١]. وممن وافقه في رأيه: ابن فارس[٢]، والصيمري.[٣]

٢- أن هذه الأعداد في أصل وضعها مؤنثة قبل تعليقها بمعدود، فلما تعلقت أعطي هذا الأصل للأصل وهو: المعدود المذكر، وأعطي الفرع وهو حذف التاء للفرع، وهو المعدود المؤنث، وبهذا الرأي قال: ابن يعيش[٤]، وممن تابعه: ابن مالك[٥]، وابنه[٦]، والرضي[٧].

وهما أقرب الآراء إلى الصحة، وقيل غير ذلك.[٨]

هذا عن موقف العربية من التفريق بين عدد المذكر والمؤنث، ومنها: عدد المرأة والرجل إذا كان العدد من الأعداد من ثلاثة إلى عشرة متقدمًا عن المعدود، أما إذا تأخر عنه فللناطق حرية إعطاء المرأة حقها بتأنيث عددها؛ مراعاة لقاعدة الصفة مع الموصوف، أو عدم إعطائها ذلك بتذكير عددها؛ مراعاة لقاعدة العدد مع المعدود.[٩]

تقول: جاءَتْ نساءٌ ثلاثةٌ، ونساءٌ ثلاثٌ.

---

(١) ينظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ص ٦٢٥

(٢) ينظر المذكر والمؤنث لابن فارس ص ٤٨

(٣) ينظر التبصرة والتذكرة للصيمري ٤٨٢/١

(٤) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ٢٦/٣

(٥) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٣٩٨/١

(٦) ينظر شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ٧٢٦

(٧) ينظر شرح الكافية للرضي ٢٨٦/٣

(٨) ينظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٦٢٤، وأمالي ابن الشجري ٢٧/٣-٢٨، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٠/٢

(٩) ينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٤٣/٣-٤٤، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١٣٥/٢

وإن نظرنا في ديوان شاعرنا فإننا نجده لم يستعمل من الأعداد مع المرأة سوى الأعداد: ثلاثة وأربعة وخمسة، ويلاحظ فيما تقدم فيه العدد على المعدود (المرأة) غلبة حذف المعدود على ذِكْرِه في شواهده، وما وقفت عليه من شواهد ذِكْرِ المعدود: (المرأة) ثلاثة شواهد، ومن شواهد حذفه خمسة.

وشواهد ذِكْرِه قوله:

١- فَتَوَلَّتْ فِي ثَلاَثٍ خُرَّدٍ كَدُمى الرُّهْبَانِ أوْ عِيْنِ الْبَقَرْ (١)

٢- أبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أتْرَابِ (٢)

٣- ولَسْتُ بِنَاسٍ يَوْمَ قَالَتْ لأَرْبَعٍ نَوَاعِمَ غُرَّ كلهُنَّ لهَا تِرْبُ (٣)

ومن شواهد حذفه قوله:

١- فَإِذَا ثَلاَث بَيْنَهُنَّ عَقِيلَةٌ مِثْلُ الْغَمَامَةِ نَشْرُهَا يَتَضَوَّعُ (٤)

٢-بَرَزَتْ بَيْنَ ثَلاَثٍ كَالْمَهَا تَقْرُو الصَّرِيما (٥)

٣- خَرَجَتْ تَأَطَّرُ فِي ثلاَثٍ كَالدُّمى تَمْشِي كَمَشْيِ الظَّبْيَةِ الأَدْمَاءِ(٦)

والظاهر أن حذفه للمعدود؛ للاختصار، والتخفيف، ولأَمْنِ اللَبْس في تقديره لدلالة السياق عليه، وتقديره في جميعها – كما يبدو – هو: نساء.

ولم أقف لتأخير العدد عن المعدود (المرأة) إلا على شاهدٍ واحدٍ، وهو قوله(٧):

---

(١) البيت من الرمل، ينظر الديوان ص ١٤١، وخُرَّد: جمع خَرود وهي: البكر التي لم تمسّ قط، وقيل: الحيية، والدُمى: جمع دمية، وهي الصورة المنحوتة من العاج ونحوه، وعِيْن: جمع عيناء وهي الواسعة العين.

(٢) البيت من الخفيف، ينظر المصدر السابق ص ٤٢٣، والْمَهَاةِ: البقرة الوحشية، والكَوَاعِب: جمع كَاعِب وهي التي نَهَد ثديها.

(٣) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٤٢٨

(٤) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ١٧٩، والعَقِيلَةُ: المخدرة الكريمة، ونَشْرُهَا: ريحها الطيبة، ويَتَضَوَّعُ: يفوح.

(٥) البيت من الرمل المجزوء، ينظر المصدر السابق ص ٢٤٠، وتَقْرُو: تتبع، والصَّرِيم: ما اجتمع من معظم الرمل.

(٦) البيت من الكامل، ينظر المصدر السابق ص ٤٦٠، وتَأَطَّرُ: تتثنى وتتبخْرَ، والأَدْمَاءِ: البيضاء.

(٧) البيت من المنسرح، ينظر المصدر السابق ص ١٣٤

أَوْ مَجْلِسَ النِّسْوَةِ الـثَّلَاثِ لَـدَى الْـخَيْمَاتِ حَتَّـى تَـبَلَّجَ السَّـحَرُ

ومما يُلاحظ في الشاهد تذكيره لعدد المرأة الواقع صفة مراعاة لقاعدة العـدد مع المعدود في العربية مع استطاعته التأنيث الذي هو حقّ للمرأة؛ مراعاة لقاعـدة الصفة مع الموصوف؛ إذ مقتضى الإنصاف لها والتقدير تأنيث عددها لا تـذكيره، فالعربية– كما ذكرت من قبل– تُبيح له–إن تأخر العدد – التأنيـث والتـذكير،ولا تُلزمه بوجه، ولعل تذكير الشاعر عددها لأن تذكيرالعـدد أخـف، أو للضـرورة الشعرية.

ومما يستوقف النظر حرص الشاعر في شاهدٍ آخر على إعطاء المرأة حقها الذي تقتضيه القاعدة، وهو تذكير عددها إذا كان من ثلاثة إلـى عشـرة، مـع أن المعدود مذكر لفظًا، مراعيًا في ذلك معناه المؤنث،

والشاهد هو قوله[1]:

فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْـتُ أَتَّقِـي ثَلَاثُ شخُوصٍ كَاعِبَـانِ وَمُعْصِـرُ

فـ (شخوص) جمع (شخص) وهو مذكر لفظًا، وحقه تأنيث عـدده (ثـلاث) ولكن الشاعر لم يأبه لذلك، وغلّب جانب المعنى فذكّر العدد؛ مراعاة لمعنى المعدود المؤنث وهو: نساء[2]، الذي يتضح من أوصاف تلك الشخوص التي ذكرهـا بعـد ذلك، وهي: كاعبان، ومُعْصِر، والأقيس والأكثر في العربية مراعاة اللفظ[3].

ولا نعلم أَتَغْلِيبُه جانب المعنى المؤنث للمعدود على لفظه المذكر في الشاهد؛ لتقديره المرأة واحترامه لها أم أنه للضرورة الشعرية؟

---

(١) البيت من الطويل، ينظر المصدر السابق ص ٩٢، المِجَني: التُرس، والكاعب: الجارية التي نهد ثديها، والمعصر: التي دخلت في عصر شبابها.

(٢) ينظر الكتاب ٥٦٦/٣، والخصائص لابن جني ٤١٧/٢، والإنصاف ٧٧٠/٢-٧٧١، وشرح الكافية للرضي ٣٠٨/٣

(٣) ينظر شرح التسهيل لابن مالك ٣٩٩/٢، وشرح الألفية لابن الناظم ٧٢٨-٧٢٩، وشـرح الكافية للرضي ٣٠٨/٣

الخاتمة

أحمدُ الله على ما وَفّق إليه ويَسَّر، وعلى ما أعان عليه وذلّل، ويَجْدُر بي وقد نَزلْتُ مَنَازِل الخاتمة بعد تَطْوافٍ في سهول البحث، وارتقاء نُجودِه، وخَوْض غِماره أن أُذكر أهم ما انتهى إليه البحث من نتائج وتوصيات.

ومن أهم النتائج ما يلي:

١- رفعة مكانة المرأة في الجملة العربية، وبُرهان ذلك ما حظيت بـه مـن حقوق نحوية تمثلت في التفريق بينها وبين الرجل في نسيج الجملة، سواء في إسناد الفعل، أو في الوصف، أو في الإضمار وغير ذلك، وقد تنوع ذلك التفريق فتـارة نجده بلفظ تختص به كما هو الحال في أسماء الإشارة، والموصولات، والضـمائر غالبًا، وتارة نجده بعلامة فارقة تميزها وهي: تاء التأنيث اللاحقة فعلها، ووصفها، وتارة نجده بصيغة صرفية خاصة بها.

وخروج العربية عن ذلك النهج في بعض الأحوال لا يبيح اتهامها بذكوريـة التوجه، والعنصرية، وظلم المرأة – كما زعم بعضهم – فكما وقع في العربية تذكير وصف المرأة وفعلها في بعض المواضع، وقع أيضًا تأنيث وصف الرجل وفِعْلـه، ومن أمثلة تأنيث وصفه قولهم: رجلٌ نسّابةٌ، وعلاّمة، وهُزْأة، وضُحْكَة، ومن أمثلة تأنيث فِعْله قولنا: أقبلَتِ الرجالُ، وجاءَتِ القومُ، ولكن تذكير المرأة – بلا شك – في كلامهم أوسع، ولعل ذلك؛ لأن فيه ردّ فرع لأصل، فكان أهون من العكس عندهم.

٢- المرأة في جملة الشاعر تعكس موقف العربية من المرأة، وموقفه منهـا، فالشاعر في ديوانه يتبع غالبًا منهج العرب في كلامهم فيلتزم إعطاء المرأة حقوقها حيث التزموا، ويتركه حيث تركوا، ولكن ذلك لم يمنع من عدم التزامه ذلك المنهج في بعض المواضع، كما لم يمنع من التزامه التأنيث أو التذكير حيث أباحوا تـرك ذلك، والأول نجده في التزامه تأنيث فعل المرأة المنفصلة عن فعلها بغير (إلا) مـع جواز تذكيره في العربية، والثاني نجده في التزامه تذكير وصـفها إذا كـان اسـم تفضيلٍ مضافًا إلى المعرفة مع إجازة العربية تأنيثه، والتزام الشاعر تأنيث فعلها – بلا شك – يدل على تقديره للمرأة، والتزامه تذكير اسم التفضيل في وصفها لا يدل

على عكس ذلك، فالشاعر اختار في وصفها أخفّ الصيغتين، وهي: (أَفْعَل) للمذكر، فهي أخفّ من (فُعْلى)، وطلب الخفة من مقاصد العرب في كلامهم.

٣- حرص الشاعر على إعطاء المرأة حقها بتأنيث ما يتعلق بها في الجملة في الأحوال التالية: أحدها: إذا كان اسم موصولٍ مبدوءًا بـ (أل)، والثاني: إذا كان اسم إشارة، ويلاحظ عدم استعمال الشاعر في ديوانه للمرأة إلا اسم الإشارة للبعيد (تلك)، والثالث: إذا كان فِعْلاً سواء اتصلت به المرأة، أم انفصلت عنه بغير (إلا)، وسواء طال الفصل أم قَصُر.

٤- التزام الشاعر إعطاء المرأة حقها، بتأنيث وصفها سواء أكان خبرًا، أم نعتًا، أم حالاً في الديوان عدا في الأحوال الآتية: أحدها: إذا كان على وزن يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث كـ (فَعِيْل) بمعنى (مَفْعُول) ،وفَعُول بمعنى (فَاعل)، ومِفْعَال، والثاني: إذا كان (أَفْعَل مِن)، أو (أَفْعَل) مضافًا إلى النكرة، والثالث: إذا كان وصفًا مختصًا بالمرأة، أو غالبًا فيها، وشذّ في ديوانه تأنيث (خريدة) مع اختصاصه بالمرأة ، والرابع: إذا كان اسم جنس، أو مصدر، أو (مثل) أو (غير)، ولا ينحصر تذكير وصف المرأة عند الشاعر في هذه الأحوال بل جاوزه إلى تذكيره في شواهدَ عدة حاولْتُ التماس علة تذكيرها في موضعها من البحث.

٥- اطرد في ديوان الشاعر تَرْكُ تأنيثِ عددِ المرأة من ثلاثة إلى تسعة مُتّبِعاً في ذلك منهج العربية في هذه الأعداد الذي يقتضي مخالفة العدد للمعدود في التذكير والتأنيث.

٦- لم يطرد في الديوان إعطاء المرأة حقها في الضمائر بتأنيث ضمائرها متصلة ومنفصلة، فالشاعر كما حرص على تأنيثها في أغلب ديوانه نجده أتى بضميرها مذكرًا مجموعًا في مواضع كثيرة، وذلك – فيما يبدو – تعظيمًا لها وتقديرًا.

٧- لم يُعطِ الشاعر المرأة حقها بندائها بـ (أي) مؤنثة، فالتزم تذكير (أي)، وتذكير ما تلاها من توابع مُتكِلاً على القرائن اللفظية والمعنوية في الدلالة على إرادة المرأة بالنداء.

٨- كثرة ما وقع في الديوان من تذكير وصف المرأة، أو ضميرها، لا يدل على انحياز العربية للرجل، أو ظلم المرأة وعدم إنصافها، ومن يقول بذلك يجهل لغة العرب، ولا يدرك طرائقهم في الكلام؛ فتذكير المرأة في الجملة

لم يكن إلا لعلة لفظية، أو معنوية، أو لأسرار بلاغية تقتضي من الناظر لإجلائها فَضْل تأملٍ ونَظَر.

٩- لا أثر للحياة الاجتماعية، والمجتمع بمعتقداته وأعرافه في تركيب جملة المرأة في الديوان، وإنما يُلمح أثر ذلك في مضامين شعره التي دارت في فلك المرأة المحبوبة، ولقاءاته بها، وحواراته، وذلك لم يكن لينعم به الشاعر لولا تلك الحرية التي حظيت به المرأة في المجتمع الحجازي في ذلك الوقت.

ومن أهم توصيات البحث ما يلي:

١-أن يبادر الباحثون إلى دراسة الموضوع عند شعراء آخرين في العصر الأموي، وفي بقية العصور الأدبية حتى العصر الحديث؛ للكشف عن مدى التشابه والاختلاف بين الشعراء باختلاف العصور في معاملة المرأة في الجملة، والمؤثرات في ذلك.

٢-أن يتبع هذه الدراسة، دراسةُ حقوق المرأة في الجملة في اللغات الأخرى؛ للوقوف على مدى إعطاء المرأة حقوقها في تلك اللغات، وأسباب ذلك، والمقارنة بينها وبين العربية.

٣- دراسة بناء الجملة وأنماطها في ديوان عمر، والأبعاد الدلالية لذلك؛ إذ الملاحظ تنوع الجمل عنده، وثراء طرائق تركيبها.

٤- إخضاع ديوان الشاعر للبحث المعجمي والدلالي في مفردات الحب والغزل عنده، وأوصاف المرأة، وكل ما يتعلق بها من تفاصيل ثيابها، وحليها وعطرها وغير ذلك؛ والظَنّ أن الباحث سيجد مادة ثرية جديرة بالبحث والنظر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي – ت: فؤاد أحمد زمَرْلي – بيروت: دار الكتاب – ٢٠١٢م.
- أدب الكاتب: ابن قتيبة – ت: محمد الدالي – ط٢ – بيروت: مؤسسة الرسالة – ١٤٠٥هـ.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي – ت: د. رجب عثمان محمد – ط١ – القاهرة: مكتبة الخانجي – ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- الأصول في النحو: ابن السراج – ت: د. عبد الحسين الفتلي – ط٢ – بيروت: مؤسسة الرسالة – ١٤٠٧هـ.
- الأعلام: خير الدين الزِركْلي – ط٨ – بيروت: دار العلم للملايين – ١٩٨٩م.
- أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي الحسني العلوي – ت: د. محمود الطناحي – القاهرة: مكتبة الخانجي – دون طبعة وتاريخ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري – ت: محمد محيي الدين عبد الحميد – بيروت: دار الفكر – دون تاريخ.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين ابن هشام – طبعة جديدة – صيدا، بيروت: المكتبة العصرية – ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): د. شوقي ضيف – ط١٢ – مصر: دار المعارف– دون تاريخ.
- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة – شرح ونشر: السيد أحمد صقر – ط٣ – بيروت: المكتبة العلمية – ١٤٠١هـ.
- التبصرة والتذكرة: ابن إسحاق الصيمري – ت: فتحي علي الدين – ط١ – دمشق: دار الفكر – ١٤٠٢هـ.

- التكملة (الجزء الثاني من الإيضاح العضدي): أبو علي الفارسي – ت: د. حسن شاذلي فرهود – ط١ – الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض – ١٤٠١هـ /١٩٨١م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي – ت: أحمد محمد عزوز – دون طبعة – صيدا، بيروت: المكتبة العصرية – ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- حاشية الخضري: محمد الدمياطي الشافعي الشهير بالخضري – الطبعة الأخيرة – القاهرة: مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده – ١٣٥٩هـ.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: محمد علي الصبان – تصحيح: مصطفى حسين أحمد – بيروت: دار الفكر – دون تاريخ.
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي – بيروت: دار صادر – دون طبعة وتاريخ.
- الخصائص: أبو الفتح ابن جني – ت: محمد علي النجار – ط٣ – مصورة، بيروت: عالم الكتب – ١٤٠٣هـ.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة (شاعر الحب والجمال): شرح وتحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، و د. عبد العزيز شرف – القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث – دون طبعة وتاريخ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ت: محمد محيي الدين عبد الحميد – طبعة جديدة – صيدا، بيروت: المكتبة العصرية – ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد الأشموني الشافعي – القاهرة: دار إحياء الكتب العربية – دون تاريخ.
- شرح ألفية ابن معط: ابن القواس – ت: د. علي موسى الشوملي – ط١– الرياض: مكتبة الخريجي – ١٤٠٥هـ.

- شرح ألفية ابن مالك: ابن الناظم – ت: د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد – بيروت: دار الجيل – دون تاريخ.
- شرح التسهيل: ابن مالك – ت: د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون – ط١ – القاهرة: هجر – ١٤١٠هـ.
- شرح التصريح على التوضيح : الشيخ خالد الأزهري ،وبهامشه (حاشية الشيخ يسن)– دار الفكر– دون طبعة وتاريخ.
- شرح الجمل: ابن خروف – ت: د. سلوى عرب – ط١ – مكة: جامعة أم القرى – ١٤١٩هـ.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد – ط١ – مصر: مطبعة السعادة – ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام الأنصاري، ومعه كتاب (سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى) للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد – صيدا، بيروت: منشورات المكتبة العصرية – ١٩٨٤م – دون طبعة.
- شرح الكافية الشافية: ابن مالك – ت: د. عبد المنعم هريدي – ط١ – دار المأمون للتراث – ١٤٠٢هـ.
- شرح الكافية: رضي الدين الاستراباذي – تصحيح: يوسف حسن عمر – طبعة جديدة – منشورات جامعة بن غازي – دون تاريخ.
- شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي – ت: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي – ط١ – بيروت: دار الكتب العلمية – ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش – ت: أحمد السيد أحمد – مراجعة: إسماعيل عبد الغني – القاهرة: المكتبة التوقيفية – دون طبعة وتاريخ.
- شفاء العليل في إيضاح التسهيل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلسيلي – ت: د. عبد الله الحسيني – ط١ – مكة: المكتبة الفيصلية – دون تاريخ.

- الصاحبي: أحمد بن فارس – ت: السيد أحمد صقر – القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – دون تاريخ.
- الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل الجوهري – ت: الشيخ أحمد بن عبد الغفور عطار – ط٢ – بيروت: دار العلم للملايين – ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- الفصيح: أبو العباس ثعلب – ت: د. عاطف مدكور – القاهرة: دار المعارف – دون طبعة وتاريخ.
- كتاب سيبويه: سيبويه – ت: عبد السلام هارون – مصورة، بيروت: عالم الكتاب – دون تاريخ.
- لسان العرب: ابن منظور – ت: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي – القاهرة: دار المعارف – دون تاريخ.
- المذكر والمؤنث: أبو زكريا الفراء – ت: د. رمضان عبد التواب – القاهرة: مكتبة دار التراث – دون
- المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري – ت: د. طارق الجنابي – ط١ – بغداد: مطبعة العاني – دون تاريخ.
- المذكر والمؤنث: أبو الحسين أحمد بن فارس – ت: د. رمضان عبد التواب – ط١ – القاهرة: دار الكتب – ١٩٦٩م
- المساعد على تسهيل الفوائد: ابن عقيل – ت: د. محمد كامل بركات – دمشق: دار الفكر – ١٩٨٠م.
- معاني القرآن: الأخفش – ت: د. عبد الأمير الورد – ط١ – بيروت: عالم الكتب – ١٤٠٥هـ.
- معاني القرآن: أبو زكريا الفراء – ت: محمد علي النجار وآخرين – مصور – بيروت: دار السرور – دون طبعة وتاريخ.

- معاني النحو: د. فاضل السامرائي – ط٣ – عمان: دار الفكر – ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية – د. محمد سمير اللبدي – ط١ – بيروت: مؤسسة الرسالة – عمان: دار الفرقان – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- المعجم المفصل في مصطلحات اللغة العربية: د. إميل يعقوب – ط١ – طرابلس، لبنان: جرّوس برّس ناشرون – ٢٠١٢م.
- المقتضب: أبي العباس المبرد – ت: الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – دون تاريخ.
- من تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والعصر الإسلامي): د. طه حسين – ط١ – بيروت: دار العلم للملايين – ١٩٨١م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي – ت: د. عبد العال سالم مكرم – القاهرة: عالم الكتب – ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

ثانياً: الدوريات، والمواقع الإلكترونية:

- جندرة اللغة العربية: جبريل العبيدي – جريدة الشرق الأوسط – العدد (١٤٥٥٤) – ٢٣ محرم ١٤٤٠هـ / ٣ أكتوبر ٢٠١٨م.
- ذكورية اللغة العربية أخطر أنواع الختان للنساء: منى حلمي – جريدة المصري اليوم – ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٠م.
- ذكورية اللغة تثير حفيظة النساء (في الألقاب والمخاطبات الرسمية): حسن الستري – صحيفة الوطن – ٦ جماد الأولى ١٤٣٩هـ / ٢٣ يناير ٢٠١٨م.
- صورة المرأة في شعر شعراء العصر الأموي (دراسة إسلامية): د. انتصار مسرهد محمد – المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية – العدد (٢٠) – ٢٠٢١م.
- المرأة العاشقة في الشعر الأموي: محمد دوابشة – مجلة أما راباك – مج ٢ – العدد الثالث – ٢٠١١م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٧٨٢
٢-	Abstract	٢٧٨٤
٣-	المقدمة	٢٧٨٥
٤-	التمهيد	٢٧٨٩
٥-	المبحث الأول: ضمائرها.	٢٧٩٥
٦-	المبحث الثاني: الإشارة إليها.	٢٨٠٣
٧-	المبحث الثالث: موصولاتها.	٢٨٠٦
٨-	المبحث الرابع: وصفها، ووقوعها عطف بيان وبدلاً.	٢٨١١
٩-	أولا: وصفها: خبرها، والحال منها، ونعتها.	٢٨١١
١٠-	ثانياً: وقوعها عطف بيان، وبدلاً.	٢٨٢٦
١١-	المبحث الخامس: إسناد الفعل إليها.	٢٨٢٩
١٢-	الحالة الأولى: التزامه تأنيث فعلها.	٢٨٢٩
١٣-	الحالة الثانية: التزامه تذكير فعلها.	٢٨٣٤
١٤-	الحالة الثالثة: تأنيثه فعلها وتذكيره	٢٨٣٦
١٥-	المبحث السادس: نداؤها.	٢٨٤٥
١٦-	المبحث السابع: عددها.	٢٨٤٧
١٧-	الخاتمة	٢٨٥١
١٨-	المصادر والمراجع	٢٨٥٤
١٩-	فهرس الموضوعات	٢٨٥٩

تم بحمد الله